معـــالم الآيات الكـــونية
توصيف علمي وتوظيـف دعـــوي

إعداد

د. ماهـر محمد عطيـة عبـد العـال

المدرس بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية

بكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق

جامعة الأزهر

من ٧٥٣ إلى ٨٤٦

Scientific Characterization and Da’wah Utilization

Dr. Maher Mohamed Attia Abdel Aal

Lecturer at the Department of Da’wah and Islamic Culture, Faculty of Usul al-Din and Da’wah in Zagazig, Al-Azhar University.

معالم الآيات الكونية
توصيف علمي وتوظيف دعوي

ماهر محمد عطية عبد العال
قسم الدعوة والثقافة الإسلامية بكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق. جامعة الأزهر
الإيميل الجامعي: maherabdelaal.28@azhar.edu.eg

ملخص البحث:

تتلخص أهمية موضوع "معالم الآيات الكونية توصيف علمي وتوظيف دعوي" في: شخوص المعاني والأفكار الدعوية بارزة لكل متفكر في الكون، وفي سهولة الاتصال بين الإنسان والكون عن طريق الحِسّ المدعوم بالعقل، وفي وجود جمهور كبير من المدعوين قادر على الإفادة من توجيهات الدعاة بالنظر إلى الكون وما فيه، ذلك أن تلك الإفادة لا تحتاج أكثر من وجود الحاسة وهي موجودة عند الجميع؛ **كما كان من أسباب اختيار هذا الموضوع:** محاولة خدمة الدين والدعوة من خلال استنباط ما يفيد الدعوة والداعية من الكونين المسطور والمنظور، واستنطاق الأفكار الدعوية الحية التي تبرزها آيات الله في الكون، والعمل على إعادة صياغتها دعويًا لتمثل مخزونًا غنيًا يحمل الدعوة إلى المدعو في سلاسة معهودة عن المنهج الحسي، وكذلك الإفادة من دلائل الإعجاز الربانية في الكون لتقوية المرتكز العاطفي والعقلي لدي المدعو، مع الإبراز الحثيث للغايات المشتركة بين الآيات الكونية من ناحية والدعوة إلى الله تعالى من ناحية أخرى، **وقد تم تقسيم البحث إلى مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة،** وتم الالتزام بالأمانة العلمية والمنهج التكاملي، **ثم أسفر البحث عن نتائج منها:** بيان الغرض الذي ذكرت من أجله الآيات الكونية في القرآن الكريم، وهو التأمل في المعاني واستنباط الآثار وتطبيق الأفكار، وأن صناعة الباحث المجد والداعية المجدد مبدؤها بعد الإخلاص الإلمام بالعلوم المساعدة للتخصص، ومن أبرز تلك العلوم الآيات الكونية، وأن حداثة المخترعات العلمية جارَّةٌ إلى مزيد من التطبيقات الدعوية الجديدة فكلاهما لصيق بالآخر، **كما أفصح البحث عن توصيات من أهمها:** تعميم دراسة الآيات الكونية على كل الكليات الأزهرية، مع تعليم كيفية التعامل معها منهجيًا ودعويًا، والاهتمام بترجمة المراجع والدراسات الأجنبية المختصة بالآيات الكونية والإعجاز العلمي في الجانب الكوني، ومتابعة المستحدث في مجال الآيات الكونية ليصبح الاعتماد عليه في التوظيف الدعوي أصح وأدق وأثمر.

الكلمات المفتاحية: معالم ؛ الآيات ؛ الكونية ؛ توصيف ؛ علمي ؛ توظيف ؛ دعوي.

Scientific Characterization And Da’wah Utilization

Maher Mohamed Attia Abdel Aal
Department Of Da’wah And Islamic Culture, Faculty Of Usul al-Din And Da’wah In Zagazig, Al-Azhar University.
Email: maherabdelaal.28@azhar.edu.eg

Abstract:

The importance of the topic “Features of Cosmic Signs: A Scientific Description and Its Use in Propagation” can be summarized in: The personalities of the meanings and propagation ideas are prominent for every thinker about the universe, and in the ease of communication between man and the universe through the senses supported by reason, and in the presence of a large audience of those called who are able to benefit from the preachers’ directions by looking at the universe and what is in it, since that benefit does not require more than the presence of the senses, and they are present in everyone; The reasons for choosing this topic were: an attempt to serve religion and the call by deducing what benefits the call and the caller from the written and visible universes, and to articulate the living call ideas that God’s signs in the universe highlight, and to work on reformulating them in a call to represent a rich store that carries the call to the one being called in a smooth manner familiar from the sensory approach, as well as benefiting from the evidence of divine miracles in the universe to strengthen the emotional and mental foundation of the one being called, with the persistent highlighting of the common goals between the cosmic signs on the one hand, and the call to God Almighty on the other hand. The research was divided into an introduction, a preface, four chapters, and a conclusion. Academic integrity and the integrative approach were adhered to, and then the research yielded results, including: a statement of the purpose for which the cosmic signs were mentioned in the Holy Qur’an, which is contemplation of meanings, deriving effects, and applying ideas, and that the craft of the diligent researcher and the renewed caller begins after sincerity with familiarity with the sciences that assist in specialization, and among the most prominent of those sciences are the cosmic signs, and that the modernity of scientific inventions leads to more Among the new da'wah applications, the two are closely linked. Among the most important recommendations were: generalizing the study of cosmic verses to all Al-Azhar colleges, along with teaching how to approach them methodically and in a da'wah context; focusing on translating foreign references and studies specializing in cosmic verses and scientific miracles in the cosmic aspect; and monitoring new developments in the field of cosmic verses to make their use in da'wah more accurate, precise, and fruitful.

Keywords: Landmarks ; Verses ; Cosmic ; Description ; Scientific ; Employment ; Da'wah.

المقدمة

الحمد لله الذي يخلق ما يشاء بقدرته، ويحكم ما يريد بِعِزَّته، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء بكمال نبوته، وعلى آله وأصحابه سادة الخلق وأئمته، وقادة الحق وأَزِمَّته، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد،،،،،

فلقد أبان الله تعالى عن عظيم قدرته، وأفصح عن بديع صنعته بأن خلق الكون ليحوي العالمين، وهيأه لذلك وزينه للناظرين، أنشأه من عدم لينقله إلى وجود، وما بين العدم والوجود سلسلة من آيات الإعجاز باهرة، وطائفة بدلائل الإنجاز عامرة، ما عُرف عنها قطرة من غيث ما لم يعرف، وما أفصحت عنه الكشوف لا يقارن بما طواه الغموض، لتظل عجلة البحث في جمال الخلق دائرة، يُزَوِّدها حب التغذي من ظواهره، ويُدَوِّرُها فضول البحث عن مكامنه.

والكون منبع من الفوائد للناظرين، وموطن من القيم للمتدبرين، فالنظرة إليه بعبرة، والحركة منه بفكرة، وما بين سماء تشرق، ومطر ينزل، وأرض تنبت، ومخلوقات تمارس الحياة، تتراءى للناظرين أنضر المعاني، وتتجلى للمتفكرين أزهر الفوائد، وتتأتى للمتدبرين أعطر الآيات؛ لقد خلقه الله تعالى ليكون مستودعًا أمينًا يحوي كل ما خلق، وليكون شاهدًا صادقًا على الأعمال المستنسخة، والأفعال المسجلة، والآجال المحددة، والنهايات المحتمة.

ولما عانق الكونُ غايةَ تمامه أضحى مهيئًا لاستقبال الإنسان الذي وصل بمدد ربه إلى درجات عالية من الإبداع العلمي، ومراحل راقية من الكشف البحثي، مكنته من السمو في التعامل مع هذا الكون، ليصف ما يرى، ويرصد ما جرى، ويحلل المنظور، ويراجع المسطور، فينجز ما أنيط به من مهام وأخصُّها عمارة الكون بعبادة بارئه، وهو غير واصل إلى هذا إلا بداعية إلى الله يبصره خوافي الطريق، وقد قام الأنبياء والمرسلون بذلك أولًا، ثم خلفهم في ذات الامتداد دعاة إلى الله تعالى في كل زمان ومكان.

وقد كانت عدة الدعاة في تحقيق العمارة بالعبادة أن سلكوا منهجًا حسيًا قائمًا على الأخذ بأبصار المدعوين جهة الكون الفسيح، ليحدِّقوا في آيات الله في الكون وصفًا، ويحلِّقوا فيما تضمنته من معالم وما نثرته من قيم توظيفًا.

والآيات الكونية شقيقة للدعوة الإسلامية من حيث ربانية المصدر، ورفيقة لها من حيث شرف الغاية، وهي باقية مستمرة تحصد الأيام، حصدًا وتؤتي ثمارها نفعًا حتى يأتي أمر الله، ولهذا فإن لها – مع النفع والبقاء– عددًا من الصفات المطَّردة

والخصائص الفريدة ما يمكن – لتأكده وبروزه – اعتباره معالم لها تميزها وتقترن بها وتلازمها، وهي بحسب الرتبة الزمنية متفاوتة فمنها ما هو كائن قبل خلق الكون، ومنها ما هو حادث أثناء خلقه، ومنها ما هو حاصل بعد خلقه.

وفي كل مرحلة زمنية من تلك المراحل تبرز معالم التخطيط والتنظيم، والتسوية والتقدير، والتوافق والتوازن، والعناية والتدبير، وتتولد عن تلك المعالم فوائد وإشراقات دعوية لا غنى عنها لداعية في النجاح راغب، وإلى مرضات الله طامح.

وقد كان من عظيم ما أولاني ربي من نعم أن قسم لي الكتابة في الآيات الكونية في الباب الأول من رسالتي للدكتوراة، وقد بذلت في ذلك جهدًا ظننت معه أني لست في حاجة إلى إتمام ناقص أو تزويد مكتوب، لكن بعد طول نظر وعمق تفكير وجدت أن ثمة أفكارًا لم يكن لها حظ الظهور هناك لأن طبيعة الدراسة لم تستلزم وجودها استحقت أن تستقل ببحث يضمها، لتشرق مع نظائرها من مكان جديد.

وها أنا ذا أتقلب في نعم الله تعالى عليَّ بعد أن وفقني مرة ثانية للكتابة في الآيات الكونية من خلال هذا البحث الذي أحاول فيه تلمُّس المزيد من سبل الهداية بالنظر في الكونين المسطور والمنظور لاستنباط محددات الفلاح ومسوغات النجاح، والله خير معين.

أهمية الموضوع:

(١) شخوص المعاني والأفكار الدعوية بارزة لكل متفكر في الكون المنظور وفي المخلوقات التي تعمر هذا الكون.

(٢) سهولة الاتصال بين الإنسان والكون عن طريق الحس المدعوم بالعقل مما يسهل من مهمة الداعية في تحقيق المراد بالمناهج الملائمة.

(٣) وجود جمهور كبير من المدعوين قادر على الإفادة من توجيهات الدعاة بالنظر إلى الكون وما فيه، ذلك أن تلك الإفادة لا تحتاج أكثر من وجود الحاسة وهي موجودة عند الجميع.

أسباب اختيار الموضوع:

(١) محاولة – أرجو لها الجدية –، وإسهام – أرجو له الفاعلية، – ونية – أرجو لها الاستقامة والاستدامة – في خدمة الدين والدعوة من خلال استنباط ما يفيد الدعوة والداعية من المعاني الكائنة في الكون.

(٢) استنطاق الأفكار الدعوية الحية التي تبرزها آيات الله في الكون، والعمل على إعادة صياغتها دعويًا لتمثل مخزونًا غنيًا يحمل الدعوة إلى المدعو في سلاسة معهودة عن المنهج الحسي.

(٣) الإفادة من دلائل الإعجاز الربانية في الكون لتقوية المرتكز العاطفي والعقلي لدي المدعو، وصرف ذهنه عن الفكر المنحرف والفهم المتخبط.

(٤) الإبراز الحثيث للغايات المشتركة بين الآيات الكونية من ناحية، والدعوة إلى الله تعالى من ناحية أخرى، من ربانية المصدر ووحدة الغاية ومثالية الأداء وانسجام المضمون ونحو ذلك.

الدراسات السابقة:

(١) رسالتي للدكتوراة، وكانت بعنوان: "جوانب الاعتبار في القرآن الكريم وأثرها في الخطاب الدعوي"[(١)]، وقد اتسم الحديث عن الآيات الكونية في رسالتي بالوقوف عند كل آية كونية وقوفًا مستفيضًا، ثم الانتقال إلى أخرى، دون الحديث عن المعالم التي تضم تلك الآيات جميعًا في بوتقة واحدة تقدم عن الجميع فكرة موحدة، وهو الأمر الذي أقصد إليه من هذا البحث.

كما أن طبيعة الرسالة وموضوعها اقتضت أن يكون الحديث عن الآيات الكونية مقتصرًا على الآيات الرئيسة التي تمثل صلب الكون كالسماء والأرض والجبال والبحار، دون التطرق إلى آيات أخرى كالليل والنهار، والظواهر الكونية العديدة كالرياح والأمطار والزلازل والبراكين، ودون الحديث عن عجائب المخلوقات وغرائب الكائنات، وهو ما سأتناوله كله في هذا البحث.

وباختصار فقد كانت الآيات الكونية في رسالتي جزءًا من المضمون ولم تكن الحدث الرئيس، بخلاف هذا البحث الذي أُضَمِّنُه – بإذن الله – ما لم يقع في تلك الرسالة.

(٢) بحث بعنوان: معالم الآيات الكونية عند الإمام الغزالي (ت: ٥٠٥هـ) وآثارها الدعوية من خلال كتابه الحكمة في مخلوقات الله[(٢)]، وقد نحى الباحث

---

(١) **وقد وقع الحديث عن الآيات الكونية فيها في موضعين:** الموضع الأول: الفصل الأول من الباب الأول وكان عنوانه: الاعتبار بالآيات الكونية، وفيه ستة مباحث: الاعتبار بخلق السماوات، الاعتبار بخلق الأرض، الاعتبار بخلق الجبال، الاعتبار بخلق البحار، الاعتبار بنهاية الكون، أثر الاعتبار بالآيات الكونية في الخطاب الدعوي، والموضع الثاني: الفصل الخامس من الباب الأول وعنوانه: المقاصد الدعوية لمجالات الاعتبار في القرآن الكريم، وقد اشتمل على خمسة مباحث كان رابعها بعنوان: المقاصد التربوية، وقد اشتمل على نقطة بعنوان: التأسي بانضباط الكون.

(٢) إعداد الدكتور/ إبراهيم أحمد محمود محمد، منشور بمجلة كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية – العدد الثاني والأربعون–، ٢٠٢٢م، وقد اشتمل البحث على تمهيد ومبحثين، المبحث الأول: أبرز

مَنحىً خاصًا، إذ التزم بكاتب وكتاب، فدار في إطار خاص موقوف على نص مكتوب لا يتجاوزه إلى شمول آخر، وإن كان هذا مما لا يعيبه فهو طابع مستساغ لذلك النوع من البحوث، لكنني في هذا البحث نزعت إلى عموم الفكرة وتمام المعلومة دون تقييدها بكتاب أو حتى نوعية كتب، ذلك أني في حلٍ من ذلك، كما أنه تناول الآيات الكونية الرئيسة كالسماء والأرض والجبال والبحار والشمس والقمر والرياح، دون التطرق للكائنات التي تعمر الأرض[١] وهي جزء أصيل من الكون، [وقد كانت من موضوع الكتاب المطروق بحثيًا][٢]، لكنني في هذا البحث تناولت الحديث عن كثير من كائنات البر والبحر والجو ودخلت أعماقًا جديدة في عالم النبات ونوعت في الطرح لتصل الأفكار إلى غاية نضيجة وهيئة بهيجة قدر الطاقة، كما أنه ركز دعويًا على الآثار الناجمة عن الآيات الكونية وهي الفوائد الظاهرة الجاهزة التي تحتاج إلى مجرد رصد واستيعاب، أما بحثي فركزت فيه على جانب التوظيف بعد التوصيف، بمعنى استثمار الأفكار وإعادة إنتاجها وتسويقها دعويًا لتضيف إلى المجال الدعوي وكأنها من صلبه وأساسه، وهو أمر أراه أصعب وأشق.

منهجي في البحث:

(١) قسمت البحث إلى مقدمة فيها أشرت إلى أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، ومنهجي في البحث، وصعوبات البحث ومشكلاته، وتمهيد تضمن بيان مفردات العنوان، وأربعة مباحث وخاتمة فيها أهم النتائج والتوصيات، ثم أهم المصادر.

(٢) عملت على التزام الأمانة العلمية وذلك بعزو الآيات والنصوص إلى مواضعها، وتخريج الأحاديث، والاعتماد على ما صح سنده، وبيان معاني الألفاظ المبهمة.

(٣) اعتمدت في تحديد معالم الآيات الكونية على توصيف مقرر الآيات الإنسانية والكونية للفرقة الرابعة، شعبة: الدعوة، بكليات أصول الدين بجامعة الازهر الشريف.

معالم الآيات الكونية في كتاب الحكمة في مخلوقات الله، وفيه أربعة مطالب، والمبحث الثاني: الآثار الدعوية للآيات الكونية في كتاب الحكمة في مخلوقات الله، وفيه مطلبان.

(١) إلا نذرًا يسيرًا جدًا في مستهل المطلب الثالث من المبحث الأول.

(٢) ورد الكلام عن الكائنات المختلفة في كتاب الحكمة في مخلوقات الله بداية من الباب العاشر ونهاية بالباب الرابع عشر من الكتاب.

(٤) عملت على تحويل المعالم الكونية الحية إلى توظيفات دعوية ناطقة، من شأنها صبغ العمل الدعوي بنجاح الكون.

(٥) صدَّرت بالحديث عن الكون، مراعيًا تنويع المصادر ما بين قديم وحديث تحسبًا لتطور الكشوف العلمية وارتقاء المخترعات البشرية، ثم أردفت بالتوظيف الدعوي المبيِّن للحصاد الفكري والعملي في كل جانب.

(٦) اعتمدت منهجًا أقرب إلى التكامل، جمع بين الوصف والاستقراء الناقص والاستنباط والتحليل والمقارنة والاسترداد، وذلك حسب احتياجات كل موطن من مواطن البحث.

صعوبات البحث ومشكلاته:

تتمثل أهم مشكلات البحث في خوضه غمارات علمية دقيقة، لأن الآيات الكونية بحور لُجِّية تتصل بعلوم دقيقة كالفلك، والجيولوجيا، وعلم البحار، وعلم الحيوان، وعلم النبات، وغيرها، ويصعب على الباحث غير المتخصص فيها أن يتعامل معها وكأنه من أهلها، لذا سأعمل على اقتناص المعلومة المباشرة التي يسهل شرحها، واقتصاص النقل وثيق الصلة بالإطار الدعوي الذي يتيسر توظيفه، بمعنى آخر سأبدأ من حيث انتهى الآخرون دون تعقيدات، معتمدًا طريق الانتقاء والإحالة على النظائر والأشباه.

والله أسأل التوفيق في العمل والعصمة من الزلل، إنه نعم المولى ونعم النصير.

التمهيد

ويشتمل على التعريف بمصطلحات العنوان:

(معالم – الآيات – الكونية – توصيف – علمي – توظيف – دَعْوي)

(١) معالم:

في اللغة: لهذه اللفظة معانٍ عديدة من أشهرها:

- **العلامات البارزة:** يقال: "هو من أعلام العلم الخافقة، ومن أعلام الدّين الشاهقة، وهو معلم الخير ومن معالمه أي من مظانّه، وخفيت معالم الطريق أي آثارها المستدلّ بها عليها"[(١)].
- **الآثار الدالة:** يقال: "معلم الشيء: مظنته، ومعلم الطريق: دلالته، وإن شئت قل ما يستدل به على الطريق من الأثر، والجمع: معالم"[(٢)]؛ "ومعالم المكان: ما يستدل بها عليه من آثار ونحوها"[(٣)].

ومن كلام أهل اللغة يفهم: أن المعالم هي علامات استدام حصولها في الشيء، حتى صارت جزءًا منه، وأثرًا له، ودليلًا عليه، ولا يرقى الشيء لأن يكون له معالم بارزة إلا إذا عظم وجوده واطَّرد حدوثه وغَلَت قيمته وعَلَت درجته، فسبقته إلى الأنظار والأفكار معالمُه وملامحَه.

(٢) الآيات:

في اللغة: جمع (آية)، وقد وردت تلك اللفظة في اللغة بالمعاني الآتية:

- **العلامة:** قال في الصحاح: "الآية: العلامة، والأصل أوية بالتحريك، وجمع الآية آي وآياي وآيات"[(٤)].

---

(١) أساس البلاغة، تأليف: أبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، (المتوفى: ٥٣٨هـ)، (٦٧٦/١)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

(٢) معجم متن اللغة "موسوعة لغوية حديثة"، تأليف: أحمد رضا، حرف العين، (١٩٥/٤)، نشر: دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٣٧٧ – ١٣٨٠هـ، ١٩٥٨ – ١٩٦٠م.

(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة، تأليف: د. أحمد مختار عبد الحميد عمر، (المتوفى: ١٤٢٤هـ)، بمساعدة فريق عمل، (٢/ ١٥٤٤)، نشر: عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.

(٤) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تأليف: أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، (المتوفى: ٣٩٣هـ)، (باب الواو والياء، فصل الألف)، (٦/ ٢٢٧٥، ٢٢٧٦)، بتصرف، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطَّار، طبعة: دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٩٠م.

- **الشخص:** يقال: "وآية الرجل: شخصه، تقول منه: تآييته على تفاعلته، وتأييته على تفعلته، إذا قصدت آيته وتعمدته"(١).
- **الجماعة:** يقال: "خرج القوم بآيتهم، أي: جماعتهم، ومنه آية القرآن؛ لأنها جماعة الحروف"(٢).
- **العبرة:** "والآية العبرة وجمعها آي، ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾(٣)".

وفي الاصطلاح العام:

- "كل شيء ظاهر هو ملازم لشيء لا يظهر ظهوره، فمتى أدرك مدرك الظاهر منهما علم أنه أدرك الآخر الذي لم يدركه بذاته إذ كان حكمهما واحدًا، ذلك ظاهر في المحسوس والمعقول؛ ويقال لكل كلام منه منفصل بفصل لفظي آية"(٤).

وفي اصطلاح أهل التفسير:

- "ما تبيّن أوله وآخره توقيفًا من طائفة من كلامه تعالى بلا اسم؛ وقوله بلا اسم احتراز عن السورة"(٥).
- "قرآن مركب من جمل ولو تقديرًا، ذو مبدأ أو مقطع مندرج في سورة، وقيل: طائفة من القرآن منقطعة عما قبلها وما بعدها؛ وقيل: هي

---

(١) المرجع السابق، (باب الواو والياء، فصل الألف)، (٦/ ٢٢٧٥، ٢٢٧٦).

(٢) مجمل اللغة لابن فارس، تأليف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي أبي الحسين، (المتوفى: ٣٩٥هـ)، (١٠٦/١)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، نشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

(٣) سورة المؤمنون، الآية: (٥٠).

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف، تأليف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، (المتوفى: ١٠٣١هـ)، فصل الياء، ص: (٦٨)، نشر: عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

(٥) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تأليف: محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي، (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ)، ص: (٧٥)، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، نشر: مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

الواحدة من المعدودات في السور، سميت به لأنها علامة على صدق من أتى بها وعلى عجز المتحدَّى بها؛ وقيل: لأنها علامة على انقطاع ما قبلها من الكلام وانقطاعه مما بعدها؛ وقيل: طائفة من حروف القرآن عُلم بالتوقيف انقطاعها، يعني عن الكلام الذي بعدها في أول القرآن وعن الكلام الذي قبلها في آخر القرآن"[١].

يعني هذا أن الآية: أما أن تكون بمعنى العلامة الدالة أو المعجزة المؤيِّدة، أو أن يقصد بها الآية القرآنية التي هي طائفة الكلمات المحددة بدأً ونهاية بشكل توقيفي في كتاب الله تعالى، وحتى على الرأي الثاني فهي بمعنى العلامة الدالة على صدق النبي الموحى إليه وسلامة النص الموحى به، والمعنيان معتمدان لدي في هذا البحث.

(٣) الكونية:

نسبة إلى الكون، و(الكون) واحد (الأكوان)[٢].

وهو في اللغة: يطلق ويراد به:

- "الحدث يكون بين الناس، ويكون مصدرًا من كان يكون، كقولهم: نعوذ بالله من الحور بعد الكون، أي: نعوذ بالله من رجوع بعد أن كان، ومن نقص بعد كون، والكينونة في مصدر كان أحسن، والكائنة أيضًا: الأمر الحادث"[٣].
- "حصول الصورة في المادة بعد أن لم تكن فيها"[٤].
- "يستعمله بعض الناس في استحالة جوهر إلى ما هو دونه، وكثير من المتكلمين يستعملونه في معنى الإبداع"[١].

---

(١) راجع: الإتقان في علوم القرآن، تأليف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، (المتوفى: ٩١١هـ)، (٢٣٠/١)، بتصرف، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ، ١٩٧٤م.

(٢) مختار الصحاح، باب الكاف، ص: (٢٧٥).

(٣) العين، تأليف: أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، (المتوفى: ١٧٠هـ)، باب الكاف والنون، (٤١٠/٥)؛ تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي طبعة: دار ومكتبة الهلال، بيروت لبنان، بدون تاريخ؛ وراجع: لسان العرب، تأليف: محمد بن مكرم بن على أبي الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، (المتوفى: ٧١١هـ)، فصل الكاف، (٣٦٦/١٣)، نشر: دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف، فصل الواو، ص: (٢٨٥).

- "الكنز الفائق للطبيعة، كنز الله غير المرئي"(٢).
- "جملة الموجودات التي لها مكان وزمان كالأجرام"(٣).

وملخص المعنى اللغوي أن الكون: "الوجود المطلق العام، والكونان: الدنيا والآخرة"(٤).

واصطلاحًا: للكون عدد من التعريفات المتقاربة منها:

- "عبارة عن وجود العالم من حيث هو عالم لا من حيث إنه حق، وإن كان مرادفًا للوجود المطلق العام عند أهل النظر، وهو بمعنى المكوَّن عندهم"(٥).
- "الخَلْق المشهود ذو الوجود الخارجي الذي يدركه الإنسان ويوجه إليه قلبه وعقله من سماء وأرض ونجوم وكواكب وكائنات وظواهر ذات وجود حقيقي وآثار واقعية"(٦).
- "ما أحدثه الله تعالى وأنشأه من العدم، وقصد إيجاده على هذا النحو المعين بمحض إرادته"(٧).

---

(١) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تأليف: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبي البقاء الحنفي، (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، ص: (٨٤٩)، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، نشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، بدون تاريخ.

(٢) تكملة المعاجم العربية، تأليف: رينهارت بيتر آن دُوزِي، (المتوفى: ١٣٠٠هـ)، (١٧٣/٩)، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمَّد سَليم النعَيمي، جمال الخياط، نشر: وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، الطبعة الأولى، ١٩٧٩ – ٢٠٠٠م.

(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة، (٣/ ١٩٧٤).

(٤) المعجم الوسيط، تأليف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار)، باب الكاف، (٢/ ٨٠٦)، بتصرف، نشر: دار الدعوة، اسطنبول، تركيا، ١٩٨٩م.

(٥) التعريفات، تأليف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، (المتوفى: ٨١٦هـ)، باب الكاف، ص: (١٨٨)، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، نشر: دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

(٦) مقال للدكتور محمد الأنور السنهوتي، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالأحساء، ص: (٥٤)، بتصرف، العدد الثالث، السنة الثالثة، ١٤٠٣، ١٤٠٤هـ.

(٧) الكون في القرآن الكريم دراسة مقارنة، تأليف: د. إسماعيل محمد قرني، ص: (١٠)، نشر: دار دجلة، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.

- "كل ما هو كائن وموجود، فهي تشمل المكان والزمان كله المرئي وغير المرئي، أو هو مجموعة الظواهر الحقيقية التي تنتشر في أنحاء الفضاء، أو هو كافة المكونات المادية التي تشمل المجرات والكواكب والنجوم وغيرها من المكونات الفضائية، والمعنى الشائع لتعريف الكون هو كل الموجودات مشتملة على الكواكب والنجوم والمجرات ومحتويات الفراغ البيني في الفضاء، وكل المادة وكل الطاقة"(١).

ومن كل ما سبق يتبادر إلى الذهن أن الكون معناه: الوجود كاملًا، بمعنى: الحياة وما عليها ومن عليها، فكل هذا – بإرادة الخالق العظيم – كان بعد أن لم يكن، وحدث بعد أن كان في عداد العدم.

وتأسيسًا على هذا يمكن القول: إن الكون بمفهومه الواسع يشمل كل ما هو كائن، سواء كان جزءًا مباشرًا من الكون نفسه كالسماء والأرض والشمس والقمر والنجوم الجبال والبحار، والظواهر الطبيعية كالرياح والأمطار، والظواهر الكارثية كالبراكين والزلازل، أو شيئًا من محتوى الكون كالكائنات المختلفة والمخلوقات المتعددة، فهي شريكة بطبيعتها في تتميم الصورة العامة للكون؛ "**وعلم الكون:** علم يبحث فيه عن العالم من حيث قوانينه الطبيعية التي يسير بمقتضاها"(٢).

وإن تحدثنا عن المعنى العام للمصطلح المركب (الآيات الكونية) فإنه يمكن القول إن الآيات الكونية هي: الآيات القرآنية التي موضوعها الكون جملة أو تفصيلًا، أو هي: العلامات الإعجازية، والدلائل الإلهية، والصنائع الربانية، الملحوظة بالنظر، أو الحاصلة بالتفكر، أو الكائنة بالبحث والتدبر، الدالة على بديع خلق الله تعالى في الكون.

(٤) توصيف:

من الوصف، وهو في اللغة يراد به: الإخبار عن الشيء بذكر أوصافه وطبيعة ما هو عليه كشفًا وإظهارًا وحقيقة وبيانًا، يقال: "وصف الشيء يصفه إذا أخبر

---

(١) نظرية تعدد الأكوان ومركزية الحياة والإعجاز العلمي في القرآن والسنة في الحديث عن حياة ما بعد الموت، د. رضوان جبر السبكي، ص: (٥٥)، بتصرف يسير، نشر: دار الكتب، القاهرة، ٢٠١٩م.

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة، حرف الكاف، (٣/ ١٩٧٤).

بصفته"[١]، وجاء في لسان العرب: "وصف الشيء له وعليه وصفًا وصفة: حلَّاه، والوصف وصفك الشيء بحليته ونعته، واستوصفه الشيء: سأله أن يصفه له، واتصف الشيء: أمكن وصفه"[٢]؛ "ووصف الطبيبُ الدواءَ عيَّنه باسمه ومقداره، والخبر حكاه، والثوبُ الجسمَ أظهر حاله وبين هيئته"[٣]؛ "والوصَّاف: العارف بالوصف"[٤]؛ "والصفة: الأمارة اللازمة للشيء، يقال: اتصف الشيء في عين الناظر احتمل أن يوصف"[٥].

وعليه فإن الوصف في اللغة: كشف وإظهار وتعيين مقدار لشيء له نعوت لازمة وملامح بارزة، دون الزيادة عليها ولا المبالغة في نقلها.

وفي الاصطلاح: لا يستقل الوصف بتفسير اصطلاحي، لكنه في مجمل معناه حَالٌ في إطار المنهج الذي يعتمد عليه وهو المنهج الوصفي الذي يصح أن تكون تعريفاته مُعبِّرة عن معنى الوصف اصطلاحًا، ومن تلك التعريفات:

- "تفسير ما هو كائن من الأحداث التي وقعت لملاحظتها وتعليلها وتحليلها وبيان تأثيراتها وتطوراتها"[٦].
- "دراسة الواقع كما هو ووصفه وصفًا دقيقًا، من خلال التعبير الكيفي أو الكمِّي، باستخدام الأدوات المناسبة"[٧].

---

(١) الدر النقي في شرح ألفاظ الخرقي، تأليف: جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن حسن بن عبد الهادي الحنبلي الدمشقي الصالحي المعروف بـ «ابن المبرد»، (المتوفى: ٩٠٩ هـ)، (١٨٢/٢)، تحقيق: رضوان مختار بن غربية، نشر: دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ،١٩٩١م.

(٢) لسان العرب، فصل الواو، (٣٥٦/٩)، بتصرف.

(٣) المعجم الوسيط باب الواو، (١٠٣٦/٢).

(٤) تاج العروس، فصل النون مع الفاء، (٤٥٩/٢٤).

(٥) معجم مقاييس اللغة، تأليف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبي الحسين، (المتوفى: ٣٩٥هـ)، باب: الواو والصاد وما يثلثهما، (١١٥/٦)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، نشر: دار الفكر، عام: ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

(٦) مناهج البحث وآداب الحوار والمناظرة، تأليف: د. فرج الله عبد الباري، ص: (٧١)، بتصرف، نشر: دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.

(٧) مناهج البحث العلمي من التبيين إلى التمكين، تأليف: د. محمود أحمد أبو سمرة، د. محمد عبد الإله الطيطي، ص: (١٣٢)، بتصرف، طبعة: دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠٢٠م.

- "وصف ظواهر أو أحداث أو أشياء معينة، وجمع الحقائق والمعلومات والملاحظات عنها، ووصف الظروف الخاصة بها، وتقرير حالتها كما توجد عليه في الواقع"(١).
- "أسلوب من أساليب التحليل المركز على معلومات كافية ودقيقة عن ظاهرة أو موضوع محدد أو فترة أو فترات زمنية معينة، وذلك من أجل الحصول على نتائج علمية، ثم تفسيرها بطريقة موضوعية بما ينسجم مع المعطيات الفعلية للظاهرة"(٢).

إذن فالوصف اصطلاحًا: عملية مكتملة من التفسير والتحليل للظواهر والأحداث والمعلومات على ما هي عليه، بأدوات محددة، بغية إبراز حقائقها، وتحديد محتوياتها وتطوراتها وآثارها.

(٥) علمـــي:

نسبة إلى العلم والعلم لغة: نقيض الجهل، يقال: "علم يعلم علمًا، نقيض جَهِل، ورجل علَّامة، وعلَّام، وعليم، وأدخلت الهاء في علَّامة للتوكيد، وما علمت بخبرك، أي: ما شعرت به، وأعلمته بكذا، أي: أشعرته"(٣)؛ "وعلِمَه كسَمِعَه علمًا بالكسر: عرفه، وعلم هو في نفسه، وعلم الأمر: أتقنه"(٤)؛ "والمعلوم: ما أدركه علمك، والمعلوم أيضًا: ما كانت له علامة دالة على جودته ورداءته، وأكثره على

(١) مناهج البحث التربوي، تأليف: د. حيدر عبد الكريم محسن الزهيري، ص: (١٢١)، نشر: مركز ديبونو لتعليم التفكير، عمان، الأردن – دبي، الإمارات، الطبعة الأولى، ٢٠١٧م.

(٢) مناهج البحوث الإعلامية، تأليف: د. إسماعيل إبراهيم، ص: (٥٣)، نشر: دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٧م.

(٣) العين، باب العين واللام والميم معهما، (١٥٢/٢).

(٤) القاموس المحيط، تأليف: محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، المتوفى: (٨٠٧هـ)، فصل العين، ص: (١١٤٠)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، نشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

جودته"[١]؛ "والفرق بين المعرفة والعلم: أن المعرفة أخص من العلم لأنها علم بعين الشيء مفصلًا عما سواه، والعلم يكون مجملًا ومفصلًا"[٢].

وعلى هذا فخلاصة المعنى اللغوي للعلم أنه: تمام المعرفة بالأشياء، وإتقان فهمها، والشعور الصادق بحقائقها، وكل ما يزيل الوصف بالجهل.

وأما العلم اصطلاحًا: فله العديد من التعريفات منها:

- "إدراك الشيء بحقيقته، ويتكون من مجموعة مسائل وأصول كلية، تدور حول موضوع واحد، وتعالج بمنهج معين، وتنتهي إلى بعض النظريات والقوانين"[٣].
- "مجموعة من المبادئ أو القوانين العامة والمدعومة ببينات ومعطيات واقعية مستمدة من تجارب أو اختبارات منظمة" [٤].
- "أية مجموعة منظمة من المعارف، كعلم التاريخ، وعلم الاجتماع، وعلم الكيمياء...."[٥].
- "صفة ينكشف بها المطلوب انكشافا تامًا"[٦].

---

(١) جمهرة اللغة، تأليف: أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، (المتوفى: ٣٢١هـ)، باب العين واللام، (٩٤٨/٢)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، نشر: دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.

(٢) معجم الفروق اللغوية، تأليف: أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، ص: (٥٠٠)، تحقيق: الشيخ/ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ؛ **وقيل: المعرفة:** إدراك الشيء بتفكر وتدبر لأثره، وهو أخص من العلم، والمعرفة تتعلق بذات الشيء، والعلم يتعلق بأحواله. القاموس الفقهي لغة واصطلاحًا، تأليف: الدكتور سعدي أبو جيب، ص: (٢٤٩)، نشر: دار الفكر، دمشق، سورية، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

(٣) الموسوعة الإسلامية العامة، تأليف: مجموعة من الكُتَّاب تحت إشراف: د. محمود حمدي زقزوق، ص:(٩٨٩)، طبعة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وزارة الأوقاف، القاهرة، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.

(٤) المعجم الموسوعي لمصطلحات التربية، تأليف: فريد جبرائيل نجار، ص: (٨٩٨)، طبعة: مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.

(٥) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٦) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تأليف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، (٢١/١)، تحقيق: الشيخ/ أحمد عزو عناية، تقديم:

- "الشيء الذي يوجب لمن قام به اسم العالم، ويخرج عنه العلم بالمستحيل فإنه ليس بشيء اتفاقاً"(١).
- "صفة من صفات النفس توجب تمييزًا لا يحتمل النقيض في الأمور المعنوية"(٢).

إذن فالعلم اصطلاحًا: إدراك عقلي وبيان عملي منظم لحقائق الأشياء كما هي، ومعرفة محققة لكوامن الأمور على وضعها، ينتج من وراء ذلك قوانين ونظريات ثابتة ملزمة كل سالك لهذا الطريق.

أما عن المصطلح المركب [توصيف علمي] فمعناه في ظلال ما سبق: تفسير الظواهر والأشياء تفسيرًا معرفيًا مستقىً من وصفها في مظانها العلمية المختصة، يعتمد هذا التفسير على منهج وصفي شامل، معتمد هو الآخر على استقراءٍ كافٍ يساعد على استنطاق الفكرة والنتيجة من الشيء محل التوصيف.

(٦) توظيـف:

في اللغة: "الواو والظاء والفاء: كلمة تدل على تقدير شيء، يقال: وظَّفت له، إذا قدرت له كل حين شيئًا من رزق أو طعام، ثم استعير ذلك في عَظْم الساق،

الشيخ/ خليل الميس، والدكتور/ ولي الدين صالح فرفور، نشر: دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م؛ وقد أفاض الشوكاني – رحمه الله – في ذكر تعاريف العلم المختلفة، راجع: (١/ ١٩ – ٢١) من الكتاب المذكور.

(١) أبجد العلوم، تأليف: أبي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي، (المتوفى: ١٣٠٧هـ)، ص: (٣١)، نشر: دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م؛ وقد أورد المؤلف عددًا من تعريفات العلم وصل إلى خمسة عشر تعريفًا، راجع: ص: (٣١ – ٣٣) من نفس الكتاب.

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، تأليف: أبي محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني، (المتوفى: ٨٥٥هـ)، (٢/٢)، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ؛ **ومع هذه التعريفات العديدة فإن من أهل العلم من يرى أنه ليس للعلم تعريف يمكن تحديده،** قال في معالم أصول الدين: "اختلف الناس في حد العلم، والمختار عندنا أنه غني عن التعريف، لأن كل واحد يعلم بالضرورة كونه عالمًا بكون النار محرقة والشمس مشرقة، ولو لم يكن العلم بحقيقة العلم ضروريًا لامتنع أن يكون العلم بهذا العلم المخصوص ضروريًا". معالم أصول الدين، تأليف: أبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، (المتوفى: ٦٠٦هـ)، ص: (٢٢)، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، نشر: دار الكتاب العربي، لبنان، بدون تاريخ.

كأنه شيء مقدر"[١]؛ "ويقال: وظَّف القوم يظفهم وظفًا: إذا تبعهم مأخوذ من الوظيف"[٢]؛ "وواظفه: وافقه ولازمه، ووظَّفه: عين له في كل يوم وظيفة، وعليه العمل والخراج ونحو ذلك قدَّره، يقال: وظَّف له الرزق ولدابته العلف ووظف على الصبي كل يوم حفظ آيات من القرآن عيَّن له آيات ليحفظها"[٣]؛ "ووظَّف في الوظيفة أي بينها وعينها، وأوجب الوفاء بها"[٤]؛ "ووظَّف نفسه على كذا: ألزمها إياه"[٥]؛ "ووظف رأس ماله: استثمره ونماه"[٦]؛ والتوظيف: الاستيعاب، يقال: "إذا ذبحت الذبيحة فاستوظف قطع الحلقوم والمريء والودجين، أي: استوعب ذلك"[٧].

ومن هذا يُفهم أن للتوظيف معاني تتجلى في: التقدير، التتبع، الموافقة والملازمة، التعيين، الوفاء بالمهام، الإلزام، الاستثمار والتنمية، الاستيعاب.

ولعل أقرب المعاني إلى المراد وأكثرها توافقًا مع طبيعة البحث: التعيين والاستيعاب والاستثمار، **وإذا أردنا في ضوء هذا تلخيص تعريف اصطلاحي للتوظيف [في المجال العلمي تحديدًا لأنه موضوع البحث] نقول:** التوظيف: تحديد فكرة مستوعَبَة، واستثمار معناها، وتكييفه ليصبح جاهزًا لاستخدامه بأنماط مختلفة في مجالات أخرى بنفس القدر والقدرة.

(٧) دَعْــوي:

نسبة إلى (الدعوة)، والدعوة في اللغة تتعدد معانيها على نحو ما يلي:

---

(١) معجم مقاييس اللغة، باب: الواو والظاء وما يثلثهما، (١٢٢/٦).

(٢) تاج العروس، فصل النون مع الفاء، (٢٤ /٤٦٤).

(٣) المعجم الوسيط، باب الواو، (١٠٤٢/٢).

(٤) المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث، تأليف: محمد بن عمر بن أحمد بن عمر بن محمد الأصبهاني المديني، أبي موسى، (المتوفى: ٥٨١هـ)، (٤٣٣/٣)، تحقيق: عبد الكريم العزباوي، نشر: جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع، جدة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

(٥) معجم متن اللغة، حرف الواو، (٧٧٨/٥)، بتصرف يسير.

(٦) معجم اللغة العربية المعاصرة، حرف الواو، (٣/ ٢٤٦٤).

(٧) تهذيب اللغة، تأليف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبي منصور، (المتوفى: ٣٧٠هـ)، باب الظاء والباء، (٢٨٥/١٤)، تحقيق: محمد عوض مرعب، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

- الطلب والتمني، قال تعالى: ﴿وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾[١]، ويقال: "ادعيت الشيء تمنيته، وادعيته طلبته لنفسي، والاسم: الدعوى"[٢].
- إلحاق الولد بغير أبيه، جاء في العين: "الدعوة: ادعاء الولد الدعي غير أبيه"[٣].
- الصياح والاستدعاء والنداء، يقال: "دعا الرجل دعوًا ودعاءً ناداه، والاسم الدعوة، ودعوت فلانًا، أي: صحت به واستدعيته"[٤].
- القول، جاء في لسان العرب: "فأما قوله تعالى: ﴿يَدْعُو لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ﴾[٥]، فهناك من ذهب إلى أن يدعو بمنزلة يقول، ومعناه: يقول لمن ضره أقرب من نفعه إلهٌ وربٌ"[٦].
- المرة الواحدة، جاء في مختار الصحاح: "والدعوة المرة الواحدة، والدعاء أيضًا واحد الأدعية، وداعية اللبن ما يترك في الضرع ليدعو ما بعده"[٧].
- الرغبة إلى الله تعالى ومعان أخرى، جاء في القاموس المحيط: "الدعاء: الرغبة إلى الله تعالى، والدعاءة: السبابة، وهو مني دعوة الرجل، أي: قدر ما بيني وبينه ذاك، ولهم الدعوة على غيرهم، أي: يبدأ بهم في الدعاء، وتداعوا عليه: تجمعوا، ودعاه: ساقه، والنبي: داعي الله، ويطلق على المؤذن"[٨].

وهكذا يتضح أن لفظ الدعوة في النهاية مرده إلى معاني: النداء والطلب والجذب، بمعنى: نداء المدعو وطلب إقباله وجذب ذهنه للإيمان بفكرة الداعي، وهذا هو المعنى الذي تضافر ما سبق من النصوص لإثباته.

---

(١) سورة يس، الآية: (٥٧).

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير؛ للرافعي، تأليف: أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، كتاب الدال، مادة " دعوت "، (١٩٥/١)، طبعة: المكتبة العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

(٣) العين، حرف العين، باب العين والدال، (٢٢١/٢).

(٤) لسان العرب، فصل الدال المهملة، (٢٥٧/١٤).

(٥) سورة الحج، الآية: (١٣).

(٦) لسان العرب، فصل الدال المهملة، (٢٥٧/١٤)، بتصرف.

(٧) مختار الصحاح، تأليف: زين الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، (المتوفى: ٦٦٦هـ)، باب الدال، مادة: "دعا"، (٢١٨/١)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، نشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت، صيدا، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

(٨) القاموس المحيط، فصل الدال، (١٦٥٥/١).

أما الدعوة في الاصطلاح: فقد اختلفت تعريفاتها وفقًا لرؤية المعرِّف وتناوله، فكان لكل تعريف طريقًا مختلفًا على نحو ما يلي:

- من العلماء من رآها الإسلام ذاته، ترادفه التعريف وتساويه المعنى فقال: "الدعوة الإسلامية هي: دين الله الذي بُعث به الأنبياء جميعًا، تجدد على يد محمد ﷺ خاتم النبيين كاملًا ووافيًا لصلاح الدنيا والآخرة، إنها دين الله الذي ارتضاه للعالمين، تمكينًا لخلافتهم، وتيسيرًا لضرورتهم، ووفاءً بحقوقهم، ورعاية لشئونهم، وحماية لوحدتهم، وتكريمًا لإنسانيتهم، وإشاعة للحق والعدل فيما بينهم، هي الضوابط الكاملة للسلوك الإنساني، وتقرير الحقوق والواجبات، وهي قبل ذلك وبعده: الاعتراف بالخالق، والبر بالمخلوق"(١).
- ومن العلماء من رآها تبليغًا للدين وهداية إليه، فقال: "والدعوة هي تبليغ هداية الله تعالى إلى خلقه في ضوء ما جاء في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والسيرة النبوية العطرة، وما أُثر عن رسول الله ﷺ وخلفائه الراشدين المهديين"(٢).
- ومن العلماء من رآها فنًّا متخصصًا وعلمًا متأصلًا يُعنى بنشر الدين فقال: "هي: العلم الذي تعرف به كافة المحاولات الفنية المتعددة الرامية إلى تبليغ الإسلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق"(٣).
- ومنهم من رآها برنامجًا كاملًا يضم العلم والعمل والتبليغ والنشر وسائر ما يحتاج إليه الناس في معادهم ومعاشهم، فقال: "إنها برنامج كامل يضم في

---

(١) الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، تأليف: الشيخ/ محمد الراوي، ص: (٣٩، ٤٠)، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م؛ وراجع: فقه الدعوة، تأليف: د. بسام العموُش، ص:(٧)، طبعة: دار النفائس، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٥م.

(٢) الدعوة الإسلامية منهجها ومعالمها، تأليف: د. أحمد عمر هاشم، ص: (٦)، نشر: مكتبة غريب، الفجالة، القاهرة، بدون تاريخ، وانظر: الموسوعة الإسلامية العامة، ص: (٦٤٢).

(٣) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، تأليف: د. أحمد غلوش، ص: (١٠)، طبعة: دار الكتاب المصري، القاهرة – دار الكتاب اللبناني، بيروت – دار الكتب الإسلامية، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ،١٩٨٧م.

أطوائه جميع المعارف التي يحتاج إليها الناس، ليبصروا الغاية من محياهم، وليستكشفوا معالم الطريق التي تجمعهم راشدين"[١].

وهكذا يفهم أن الدعوة إلى الله تعالى قد يراد بها الدين ذاته، وقد يراد بها تبليغ هذا الدين، وقد يراد بها علم ينظم تبليغ هذا الدين، وقد يراد بها مطلق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهما أساس العمل الدعوي، وكلها معان دارجة واردة يحدد السياق ما يستخدم منها.

أما المصطلح المركب [توظيف دعوي] فمعناه: لزوم الأفكار المحددة، واستيعاب مفاهيمها، وتقدير مضامينها، واستثمار ذلك كله بإسقاطها على واقع دعوي مواز لواقعها الأصلي، لتمسي قابلة للتطبيق من منطلقه، وآخذة في التأثير من خلاله.

(١) مع الله "دراسات في الدعوة والدعاة"، تأليف: الشيخ/ محمد الغزالي، ص: (١٣)، طبعة: دار نهضة مصر للطباعة، الطبعة السادسة، ٢٠٠٥م.

المبحث الأول
التخطيـــــط والتنظيـــــم

يعد التخطيط والتنظيم المعلم الأول من معالم الآيات الكونية من الجهة الزمنية، إذ هو السمت العام لأطوار الإعداد الإلهي للكون كي يحوي ما فيه ومن فيه، وفائدة التخطيط والتنظيم على نحو كهذا أن يكون ضمانة ربانية لنجاح واستمرار منظومة الكون الفسيح إلى أن يدخل دائرة الفناء، ثم هو بيان عملي لعظمة الله الموجد الذي أحسن كل شيء خلقه، والناظر تأملًا في جنبات العالم البديع تتكاثر أمام ناظريه آيات شتى من صنوف التنظيم والترتيب من شأنها أن تعقد الذهن على يقين صَلْب ألا وهو أن التخطيط والتنظيم في هذا الكون معلم في ثوب ضرورة أكيدة وحتمية شديدة يُعلِّلها ما يلي:

(١) استحالة الأزلية الكونية:

في الكشوف العلمية ما يؤكد أن الكون مبدوء بنقطة بداية، وليس له من الأزلية حال ولا مجال، وبدايته كسائر بدايات الأشياء، بدأ من نقطة الصفر، ثم تمرحل شيئًا فشيئًا تَحُفُّه عناية خالقه حتى استوى زمانًا ومكانًا وحالًا.

"لقد توصل العلم الحديث إلى إثبات توسع الكون في الثلث الأول من ذلك القرن، ثم اندفع بهذه الملاحظة الصحيحة إلى الاستنتاج المنطقي أننا إذا عدنا بهذا الاتساع إلى الوراء مع الزمن فلا بد وأن تلتقي جميع صور المادة والطاقة المنتشرة في الكون كما يلتقي كل من المكان والزمان وجميع ما في الكون من موجودات في نقطة واحدة تكاد تقترب من الصفر على هيئة ابتدائية للكون، وأن تلك الهيئة الأولية كانت متناهية الصغر في الحجم، كما كانت بالقطع في مستوى من الكثافة ودرجة الحرارة لا يكاد العقل البشري أن يتصورهما، فانفجرت ونتج عن هذا الانفجار الكوني العظيم تحوُّلُ هذا الجرم الأولي للكون المتناهي

في ضآلة الحجم وضخامة الكثافة وشدة الحرارة إلى سحابة من الدخان الذي خلق الله منه الأرض والسماء"[١].

وبعد تمام مراحل الإيجاد نفخت روح العمل والإنتاج في جنبات هذا الكون واحدة واحدة، فأظلت السماءُ الأرضَ وجذبت الشمسُ الكواكبَ وروت الأمطارُ الزرعَ وحوت البريةُ الكائنات وشملت البحارُ الأسماكَ، وهكذا تدرجت الحياة لتصل إلى قمة ما هي عليه حيث يراها الجميع.

"إن الشمس المستعرة والنجوم المتوهجة والأرض الغنية بأنواع الحياة، كلها دليل واضح على أن أصل الكون أساسه يرتبط بزمان بدأ من لحظة معينة، فهو إذا حدث من الأحداث"[٢].

---

(١) من آيات الإعجاز العلمي "السماء في القرآن الكريم"، تأليف: د. زغلول راغب محمد النجار، ص: (١٠٦)، بتصرف يسير، طبعة: دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

(٢) الله يتجلى في عصر العلم، تأليف: نخبة من العلماء الأمريكيين بمناسبة السنة الدولية لطبيعيات الأرض، ص: (١٢)، أشرف على تحريره: جون كلوفر مونسيما، ترجمة: الدكتور/ الدمرداش عبد المجيد سرحان، راجعه وعلق عليه: الدكتور/ محمد جمال الدين الفندي، نشر: دار القلم، بيروت، لبنان، بدون تاريخ؛ **كما أثبت العلم الحديث أن الكون لا يمكن أن يكون أزليًا وذلك للظواهر التي يؤكدها علم الطبيعة ومنها:**

- ينص القانون الثاني للديناميكا الحرارية أن الحراة تنتقل من الأجسام الساخنة إلى الأجسام الباردة، وحيث إنه لا يمكن أن يحدث العكس بقوة ذاتية بحيث تعود الحرارة فترتد من الأجسام الباردة إلى الأجسام الساخنة فإن الكون يتجه حتمًا إلى درجة تتساوى فيها حرارة جميع الأجسام وينضب فيها معين الطاقة وتقف بذلك جميع العمليات الطبيعية والكيميائية والحيوية في الأرض والسماء، وحيث إن هذه العمليات ما زالت قائمة ومستمرة حتى الآن بدليل سطوع الشمس والنجوم فإن هذا يثبت أن الكون ليس بأزلي، إذ لو كان أزليًا لكان من اللازم أن يفقد طاقته منذ زمن بعيد بناء على هذا القانون، ولما بقي في الكون بصيص من الحياة أو الحركة.
- العثور على المواد الإشعاعية كالراديوم واليورانيوم وغيرها يدل على أن للكون بداية، فلو كان الكون أزليًا لما وجدت هذه العناصر المشعة لأن انحلالها سيكون قد انتهى.
- إمكانية تحديد عمر الكون باستخدام ظاهرة اتساع الكون وظاهرة النشاط الإشعاعي يدل على أن هناك لحظة معينة قد بدأ فيها هذا الكون، وبهذا يكون العلم الحديث قد أثبت – وإن لم يقصد – وجود خالق لهذا الكون لأن ماله بداية يستحيل أن يكون خالقًا لنفسه فسبحان الخالق العظيم. راجع: الكون والإعجاز العلمي للقرآن، تأليف: د. منصور محمد حسب النبي، ص: (٣٠٤)، بتصرف، نشر: دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩١م.

حدث ما كان ليبدأ تدريجيًا هكذا إلا لأن مُبدئًا بدأه من لا شيء، وما كان ليشتغل بدقة هكذا إلا لأن مُنشئًا أنشأه من عدم، فارتباط الكون بنقطة بداية وزمانِ خَلْق مسألة أضحت من العلم المجرب الذي أشعل وقوده تفكير مطوَّل ونظرة مدققة.

(٢) استحالة الأبدية الكونية:

بعد أن تمت مراحل الإيجاد على نحو معجز سُخِّر كل مكون من مكونات العالم الواسع ليؤدي دورًا دقيقًا بحسابات معقدة وقوانين مركبة، ومع تقدم الزمان تخور القوى وينفد وقود الطاقة المحرك للأجرام فيؤول الحال إلى نهاية كالبداية، هذا ما أخبرت به الكشوف العلمية لا ما قادت إليه التخمينات الظنية.

"يتوقف العلم المكتسب عند ملاحظة أن عملية التوسع الكوني[١] لا يمكن لها أن تستمر إلى ما لا نهاية، وذلك لأن قوة الدفع إلى الخارج الناتجة عن الانفجار الكوني التي بدأت بعنف بالغ هي اليوم في تناقص مستمر، وسوف يؤدي هذا التناقص التدريجي في سرعة توسع الكون إلى الوصول به إلى مرحلة تتغلب فيها قوى الجاذبية على قوى الدفع إلى الخارج، فيبدأ الكون في الانكماش والتكدس على ذاته حتى يعود إلى حالة مشابهة تمامًا لحالته الأولى التي ابتدأ منها خلق الكون [مرحلة الرتق الأولى]، وتعرف هذه المرحلة المستقبلية باسم

---

(١) **لم يتوقف التوسع الكوني عند الجانب المادي الأرجائي فحسب بل امتد ليشمل الجانب الزمني ليتضح علميًا أن الأيام تتمدد سعة وزيادة كلما تقدم الزمان وتوالت القرون،** "فسرعة دوران الأرض حول نفسها لا تزال تصغر من قرون إلى قرون، فيوم الناس يطول بتوالي الزمان، ولكنه طول لا يحسه الناس، ولا تكاد تحسه الآلات لصغره إلا إذا هو تراكم، إن يومًا كان منذ ٤٠٠٠ سنه كان أقصر من يوم نعرفه اليوم بنحو من واحد على ثلاثين من الثانية، ومعنى هذا أن متوسط زيادة اليوم في هذه الأربعين من القرون كان واحدًا على ستين من الثانية، ولكن هذه القرون احتوت على ١,٤٦٠,٠٠٠ يومًا، فمجموع هذه الزيادة اليومية المتراكمة في هذه القرون الأربعين هي ١,٤٤٠,٠٠٠ x واحد على ستين من الثانية أي ٢٤,٠٠٠ ثانية، بما يساوي ست ساعات وثلثي ساعة، إنه بسبب هذا التراكم أدرك الانسان ما في ساعة الكون العظمى من تأخر، إن أحداثًا فلكية حدثت في القرون الذاهبة كان من حسن حظ العلم والعلماء أن سجلها إنسان ذاك الزمان، فلما قام الحاضرون بحسابها متى كانت أو متى وجب أن تكون راجعين في حسابهم إلى الوراء كشفوا عما في دورة الأرض حول نفسها على القرون من إبطاء". مع الله في السماء، تأليف: د. أحمد زكي، ص: (٨٣)، بتصرف يسير، طبعة: دار القلم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م.

مرحلة الرتق الثانية، أو الرتق بعد الفتق، أو طي السماء[١]، أو مرحلة الانسحاق الشديد للكون كما يحلو لبعض الفلكيين المعاصرين تسميتها"[٢].

ومن أَجَلِّ الشواهد العلمية على هذا ما أثبته العلم من تضاؤل الطاقة وفقدانها تدريجيًا، الأمر الذي يعيد الكون إلى نقطة البداية قبل أن يقاد إلى أداء أدواره مزودًا بهذا الوقود.

"إن قوانين الديناميكا الحرارية تدل على أن مكونات هذا الكون تفقد حرارتها تدريجيًا، وأنها سائرة حتمًا إلى يوم تصير فيه جميع الأجسام تحت درجة من الحرارة بالغة الانخفاض هي الصفر المطلق، ويومئذ تنعدم الطاقة وتستحيل الحياة، ولا مناص من حدوث هذه الحالة"[٣].

إذن ففقدان قوة الدفع لحساب قوة الجذب مع انحناء مستوى الطاقة لأدنى مستوياته حتى العدم نهاية تقود إليها الأيام حتمًا، مما يعني ببساطة أن هذا الكون ينتهي كما بدأ منكمشًا راكدًا لا حراك له ولا حركة فيه، والذي ينهيه هو الذي بدأه، وهو الذي نظمه تنظيمًا جعل كل دقائقه ميدانًا يهرول إليه العلماء باحثين متدبرين.

(٣) استحالة المصادفة الكونية:

لعل من أبهت الحجج التي اعتمد عليها قليلو البضاعة العلمية وعديمو الحيلة الفكرية القول بأن الكون نشأ عن طريق المصادفة، وأن المادة هي المتحكم الرئيس في الأمر، وأن الكون تشابكت ذراته وتجاورت مجراته وتلاقت أجرامه واستوى على نحو ما يُرى عن طريق مصادفة أزلية لم ترصد علميًا أو يُعلم لها شاهد إلا من وحي الخيال.

ولوهن هذه الدعوي وذبول منطقها فإنه ربما يسقطها بصر يجول الكون أو بصيرة تشهد على تنظيمه وإبداعه، ولكن لأن ما تكرر تقرر ولأن أنداد الفكر المستقيم يعتمدون طريقة الإلحاح في الترويج لترهاتهم لتستقر أفكارهم في نفوس

---

(١) في هذا المعنى قال تعالى: ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾، سورة الأنبياء، الآية: (١٠٤).

(٢) من آيات الإعجاز العلمي "السماء في القرآن الكريم"، ص: (١٠٦).

(٣) الله يتجلى في عصر العلم، ص: (١٢).

خاوية أو كسولة عن البحث فإنني أسوق نذرًا يسيرًا مما ذكره أهل العلم في دحض المصادفة الكونية وبيان استحالتها:

(أ) استحالة المصادفة منطقيًا: بمجرد إعمال العقل حتى ولو لم يكن متخصصًا دقيقًا فإنه يتراءى لصاحبه "أن حجم الكرة الأرضية، وبعدها عن الشمس، ودرجة حرارة الشمس وأشعتها الباعثة للحياة، وسمك قشرة الأرض وكمية الماء، ومقدار ثاني أوكسيد الكربون وحجم النيتروجين، وظهور الإنسان وبقاءه على قيد الحياة، كل أولاء تدل على خروج النظام من الفوضى، وتدل على التصميم والقصد، كما تدل على أنه طبقا للقوانين المنطقية الصارمة ما كان يمكن حدوث كل ذلك مصادفة في وقت واحد على كوكب واحد، مرة في بليون مرة"(١).

إن المنطق ولو كان طفوليًا ليفرض السؤال على الرائي لأي بنيان من فعل هذا؟، إنها الفطرة في أبسط مستوياتها وأخصر معانيها التي تستحضر تلقائيا إسناد الموجودات إلى موجد والمخلوقات إلى خالق والحوادث إلى محدث، وتأبي تمامًا فرضية وجود الشيء مصادفة عبثية أو ارتجالًا عشوائيًا.

(ب) استحالة المصادفة حسابيًا: بمعادلة حسابية بسيطة يمكن إثبات أن وجود الكون على هذا النحو من الترتيب المقصود والتخطيط المعجز بطريق المصادفة أمر لا يستساغ ولو على سبيل الفرض الجدلي، فمثلًا "خذ عشرة بنسات، كلًا منها على حدة، وضع عليها أرقامها مسلسلة من ١ إلى ١٠ ثم ضعها في جيبك وهزها هزًا شديدًا، ثم حاول أن تسحبها من جيبك حسب ترتيبها من ١ إلى ١٠، إن فرصة سحب البنس رقم ١ هي بنسبة ١ إلى ١٠ وفرصة سحب رقم ١ ورقم ٢ متتابعين هي بنسبة ١ إلى ١٠٠، وفرصة سحب البنسات التي عليها أرقام ١ و٢ و٣ متتالية هي بنسبة ١ إلى ١٠٠٠، وفرصة سحب ١ و٢ و٣ و٤ متوالية هي بنسبة ١ إلى ١٠٠٠٠٠، وهكذا حتى تصبح فرصة سحب البنسات بترتيبها الأول، من ١ إلى ١٠ هي بنسبة ١ إلى ١٠ بلايين،

---

(١) العلم يدعو للإيمان، تأليف: كريسى موريسون، ص: (١٤٢)، بتصرف يسير، ترجمة: محمود صالح الفلكي، طبعة: دار وحي القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م، ١٤٣٤هـ؛ وراجع: الله والعلم الحديث، تأليف: عبد الرزاق نوفل، ص: (٤٠)، طبعة: دار الشروق، القاهرة، بدون تاريخ.

والغرض من هذا المثل البسيط هو أن نبين لك كيف تتكاثر الأعداد بشكل هائل ضد المصادفة، لذلك لابد أن يكون في الطبيعة نوع من التوجيه السديد"[١].

والعمليات الحسابية بطبيعتها مما لا يتطرق إليه شك لقيامها على معطيات ثابتة، وإثبات التخطيط والتنظيم الكوني من خلالها يجعل أنصار القول بالمصادفة في مأزق فكري لا يحسدون عليه.

(ج) استحالة المصادفة علميًا: بالاحتكام للنظريات العلمية يظهر أن اجتماع العناصر المكونة للحياة مع بعضها بطريقة دقيقة وفي زمان واحد لإيجاد أي نوع من أنواع الحياة دونما تخطيط وتنظيم من خالق مهيمن أمر لا تسلم به نظرية علمية معتبرة، "فبتطبيق قانون الصدفة أو نظرية الاحتمالات على جزيء البروتين الذي يعتبر المركب الأساس في جميع الخلايا الحية كانت النتيجة مذهلة، حيث إن عدد الذرات في الجزيء البروتيني الواحد يبلغ ٤٠٠٠٠ ذرة محصورة في خمسة أنواع من ذرات عناصر الكربون والأيدروجين والنيتروجين والأوكسجين والكبريت، وحيث إن عدد العناصر الكيميائية في الطبيعة ٩٢ عنصرًا فإن احتمال اجتماع هذه العناصر الخمسة بالصدفة لكي تكون جزيئًا واحدًا من جزيئات البروتين هي نسبة ١ إلى ١٠ مضروبًا في نفسه ١٦٠ مرة، وهو رقم لا يمكن النطق به، كما أن كمية المادة اللازمة لحدوث التفاعل بالمصادفة لإنتاج جزيء واحد أكبر مما يتسع له هذا الكون كله ملايين المرات، وأن الزمن اللازم لهذا التفاعل بالأسلوب العشوائي أكبر من عمر الكون بلايين بلايين من المرات؛ هذا كله لكي يتكون جزيء بروتيني واحد ميت يعجز الميكروسكوب عن رصده، أما لكي يتكون البروتوبلازم الذي يعتبر أدنى صورة من صور الحياة!!، وأما لكي تظهر الصور المعقدة للحياة من النبات!!، وأما لكي تظهر الصور الأكثر تعقيدًا من الحيوان!!، وأما لكي يظهر الإنسان!!، فهذا أمر لا يتخيله عقل ولا منطق أن يحدث بالأسلوب العشوائي، والنتيجة هي أن من المستحيل تمامًا تفسير وجود الحياة بقانون الصدفة"[٢].

ومن أعجب المسالك العلمية أن ترى المتشبثين بنظرية المصادفة يتحدثون بلسان العلم كأنهم كهنته أو سدنته، رغم أن العلم التجريبي لا يشي بشيء من

---

(١) العلم يدعو للإيمان، ص: (٢٩)، بتصرف يسير.

(٢) الكون والإعجاز العلمي للقرآن، ص: (٣٣)، بتصرف.

ذلك ولا ينتصر له، إنما يثبت أن التخطيط والتنظيم الكوني وليدان ليد القدرة والإعجاز وبعيدان كل البعد عن المصادفة.

(٤) استحالة الفوضى الكونية:

هناك فرض باهت – كعادة الفروض المزعومة علميًا المنافية للتخطيط الكوني– يقول إن الكون لا تحكمه المصادفة، بل الفوضى[١] التي نجحت في خلق حياة بعد أن فشلت فيها مرارًا، وكعادة هذه المزاعم لا منطق يستسيغها ولا عقل يقبلها ولا علم ينصرها، بل العلم والمنطق ألدُّ ما يعاديها، فعلميًا "احتمال وجود الشمس عن عشوائية بحتة هو واحد من رقم مؤلف من واحد على يمينه مئة مليار مليار صفر، وهذا احتمال معدوم بكل المعايير، ولو طبقنا المناقشة ذاتها على كامل الكون لوجدنا ما يحير العقل في كون مليء بالنجوم، إذ إن احتمال مثل هذا الكون هو رقم مؤلف من واحد على يمينه ألف مليار مليار مليار صفر على الأقل، وحتى لو كانت حجج احتمالية الفوضى هذه تقريبية للغاية يبقى الاستنتاج هو أننا نعيش في كون تقف كل العشوائية ضده"[٢].

وبهذا لا يبقى إلا التسليم بنظام الكون وخطته ونفض كل ما عدا ذلك من أفكار ووساوس، وإلا فمن ذا الذي ينكر ما شهدت به العيون والعقول والقلوب والعلوم؟!.

من مظاهر التخطيط والتنظيم لخلق الكون:

لو أنه – جل شأنه – أراد خلق الكون دفعة واحدة بل وفي أقل من غمضة عين ما أعجزه ذلك، لكنه ﷻ اقتضت حكمته التخطيط قبل التنفيذ والتنظيم قبل التسيير، ومن أعظم مظاهر ذلك التخطيط مرور الكون على مراحل عامة في وجوده تمثلت في الإيجاد، ثم الترتيب، ثم الإحكام، وفيما يلي أوضحها:

---

(١) يمكن استنتاج أدق الفروق بين المصادفة والعشوائية وتلخيصه في: أن العشوائية عمل غير منظم أو صبغة لعمل غير منظم، بينما المصادفة نتيجة لذلك، ووجود أحدهما معبر عن وجود الآخر ومستلزم له، وغني عن البيان أن الكون منهما براء.

(٢) راجع: العوالم الأخرى "صورة الكون والوجود والعقل والمادة والزمن في الفيزياء الحديثة"، تأليف: بول ديفيس، ص: (١٨٦)، بتصرف، ترجمة: د. حاتم النجدي، مراجعة: د. أدهم السمان، تقديم: العماد مصطفى طلاس، نشر: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، الطبعة الثانية، ١٩٩٤م.

(١) الانفجـــــار العظيـــم: ذلك الحدث الرهيب الذي فتق الأرض عن السماء لتستقل كل منهما بخصائصها وما لها، وقد جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾(١).

"لقد تحدث عالم الفلك البلجيكي "جورج لوميتر" سنة ١٩٢٧م عن أن الكون كان في بدء نشأته كتلة غازية عظيمة الكثافة واللمعان والحرارة أسماها البيضة الكونية، ثم حصل في هذه الكتلة بتأثير الضغط الهائل المنبثق من شدة حرارتها انفجار عظيم فتتها وقذفها مع أجزائها في كل اتجاه، فتكونت مع مرور الوقت الكواكب والنجوم والمجرات، ولقد سمى بعض العلماء هذه النظرية بالانفجار العظيم، وفي عام ١٩٤٠م أيد عالم الفلك الأمريكي – من أصل روسي – "جورج غاموف" نظرية الانفجار العظيم، مما مهد الطريق لكل من العالمين "بانزياس" و "ويلسون" سنة ١٩٦٤م اللذين التقطا موجات راديو منبعثة من جميع أرجاء الكون لها نفس الخصائص الفيزيائية في أي مكان سجلت فيه، لا تتغير مع الزمن أو الاتجاه، فسميت "النور المتحجر" أي النور الآتي من الأزمنة السحيقة، وهو من بقايا الانفجار العظيم الذي حصل في الثواني التي تلت نشأة الكون، وفي سنة ١٩٨٩م أرسلت وكالة الفضاء الأمريكية قمرها الاصطناعي والذي قام بعد ثلاث سنوات بإرسال معلومات دقيقة إلى الأرض تؤكد نظرية الانفجار العظيم وسمي هذا الاكتشاف باكتشاف القرن العشرين؛ هذه الحقائق العلمية ذكرها القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرنًا حيث قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾"(٢).

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: (٣٠).

(٢) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، تأليف: يوسف الحاج أحمد، ص: (٣٨٠، ٣٨١)، بتصرف، طبعة: مكتبة ابن حجر، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م؛ وراجع: الجواهر في تفسير القرآن الكريم المشتمل على عجائب بدائع المكنونات وغرائب الآيات الباهرات، تأليف: الشيخ/ طنطاوي جوهري، (١٨٩/١٠، ١٩٠)، بتصرف يسير، مطبعة: مصطفى البابي الحلبي، محرم، سنة ١٣٤٧هـ؛ وراجع: الكون والقرآن كتاب يبحث في علم الفلك، تأليف: محمد علي حسن الحلي، ص: (١٣)، طبعة: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م؛ وراجع: الكون والإعجاز العلمي للقرآن، ص: (٣٠٥، ٣٠٦).

وبات هذا الاكتشاف المذهل قيد الرصد والمتابعة العلمية، بحيث يمكن تتبع آثاره وقياس نتائجه من قبل العلماء المعنيين بذلك بواسطة التلسكوبات الحديثة، "فعندما ينظر الفلكيون إلى الكون بواسطة أقوى تلسكوباتهم فإنهم يستطيعون أن يروا الضوء الذي انبعث من المجرات بعد بضعة مليارات من السنين منذ لحظة الانفجار الهائل، ويمكِّنهم ذلك من التحقق من تمدد الكون الذي تنبأت به نظرية الانفجار في هذا الطور المبكر من الكون ومن أن كل الأمور كما تنبأوا بها، ولاختبار النظرية في أزمنة سابقة على ذلك فعلى الفزيائيين والفلكيين أن يستخدموا طرقًا أخرى، وتتضمن إحدى هذه الطرق الأكثر دقة ما يعرف باسم الخلفية الإشعاعية للكون"[١].

ومع مرور الوقت وانصهار فكرة الانفجار العظيم علميًا وقبولها أكثر وأكثر بات ممكنًا تقريب الأمر وتوضيحه حتى لغير المتخصصين في علم الفلك أو الإعجاز العلمي، فقد قال العلماء: "إذا لمست بيدك إطار دراجة مباشرة بعد ملئه بالهواء بشدة فستشعر أنه دافئ الملمس، حيث تتحول بعض الطاقة التي أنفقتها في حركة ضخ الهواء إلى زيادة في درجة حرارة الهواء داخل الإطار، ويعكس ذلك مبدأً عامًا وهو: في ظروف مختلفة وعندما تنضغط الأشياء فإنها تسخن والعكس صحيح، فعندما يسمح للأشياء بأن تتمدد فإنها تبرد، وتعتمد أجهزة التكييف والثلاجات على هذه المبادئ، فإذا عرَّضنا مواد مثل الفريون إلى دورات من الانضغاط والتمدد المتكررة يحدث سريان للحرارة في الاتجاه المرغوب، ومع أن هذه حقائق بسيطة من حقائق الفيزياء الأرضية فقد اتضح أن لها وجودًا مدويًا في الكون ككل[٢].

هذا هو المظهر الأول من مظاهر التخطيط والتنظيم الإلهي لخلق الكون، من فرط ثبوته علميًا صار أقرب إلى البداهة منه إلى دقيق العلم.

---

(١) الكون الأنيق "الأوتار الفائقة والأبعاد الدفينة والبحث عن النظرية النهائية"، تأليف: برايان جرين، ترجمة: د. فتح الله الشيخ، مراجعة: د. أحمد عبد الله السماحي، ص: (٣٧٩، ٣٨٠)، نشر: المنظمة العربية للترجمة، بيروت – المعهد العالي العربي للترجمة، الجزائر، توزيع: مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.

(٢) المرجع السابق، ص: (٣٧٩، ٣٨٠).

(٢) الترتيب الرباني الحكيم: ويتمثل في وضع التفاصيل اللازمة واللمسات البديعة لإكمال ما سبق الحديث عنه، ففي آيات من القرآن الكريم بيَّن الله تعالى الترتيبات الماثلة في الأطوار والأدوار التكوينية التي تمثل أحد مظاهر التخطيط الإلهي لخلق الكون وإيجاد نظامه على غير مثال سبق، فقال تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ *وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ * ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ * فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾[١].

"والحكمة في خلق هذه المخلوقات في مدة ممتدة مع قدرته سبحانه على إيجادها في لحظة واحدة هي إظهار القدرة في ترتيب ذلك حسب شرف الإيجاد أولًا فأولًا، وقال قوم: ليعلّم عباده التأني في الأمور والمهل، ورتّب الله تعالى أوضاع الأرض لتصلح للعيش عليها، بإيجاد ثلاثة أنواع فيها، وهي إيجاد الجبال الثوابت للاستقرار والتوازن على سطحها وحفظها من الاضطراب، ولتخزين المياه والمعادن في باطنها والإرشاد للطرق في جنباتها، وحفظ الهواء والسحاب لها، ثم جعل الله الأرض مباركة كثيرة الخير بما أودع فيها من مصادر الثروة المعدنية والمائية والزراعية، وقدّر الله فيها أرزاق أهل الأرض وأقواتهم، وما يصلح لمعاشهم من الأشجار والمنافع، وأتم الله تعالى معايش أهل الأرض في غضون أربعة أيام[٢]، مع اليومين المتقدمين للخلق والإبداع، وهذا كما تقول: بنيت جدار

---

(١) سورة فصلت الآيات: (٩ – ١٢).

(٢) **تأتي كلمة اليوم في القرآن الكريم بعدة معان منها:** النهار: وذلك كما في قوله تعالى في إهلاك قوم عاد بالريح العاتية: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾، [الحاقة، الآية: ٧]؛ ومنها: الطور: أي المرحلة من مراحل الخلق والتكوين والتدبير والحركة والتي قد تقدر بالألاف أو الملايين أو البلايين من السنين، قال تعالى:﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾، [سورة الأعراف، الآية: ٤٥]، ومنها: اليوم الأرضي مما يعده البشر، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾، [سورة الحج، الآية: ٤٧]؛ والزمن في القرآن الكريم نسبي وليس مطلقًا، وهذا يتفق مع النظرة العلمية الحديثة التي اكتشفها أينشتاين في النظرية النسبية الخاصة. راجع: الكون والإعجاز العلمي للقرآن، ص: (٣٠٨).

داري في يوم، وأكملت جميعها في يومين، أي بالأول، وجعل الله ذلك الخلق في أربعة أيام مستوية استواءً بلا نقصان ولا زيادة، ومستغرقة بالأعمال لأجل إجابة سؤال السائلين عن الأمر والاستفهام عن حقيقة وقوعه، والطالبين ما ينتفعون به، فهم في حكم من سأل هذه الأشياء، إذ هم بحال حاجة إليها"(١).

والترتيب الملموس من معاني الآيات شمل الترتيب الزمني والترتيب الوظيفي والترتيب الجمالي، وكله في إطار مخطط منظم يدفع إلى مزيد من التأمل، ويبعث على مزيد من السير في الأرض والتدبر في نواحيها.

(٣) ختــام الخِلْقَــة بإحكام الصنعة: وتلك مرحله آتية بعد بداية الإيجاد وترتيب الأطوار، وهي لا ريب نتيجة قطعية الحدوث، إذ خلق الكون على نحو ما سبق لا بد أن يوصله إلى درجة الإتقان التي تغنت بها العلوم والكشوف، تلك الدرجة التي جعلت من كل جزء منه عِلمًا مستقلًا له تفاصيله وقوانينه وجديده الذي يظهر يومًا تلو الآخر، في هذا المعنى قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزل اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(٢).

"لقد تجلت في هذه الآية مجموعة من العلوم الطبيعية التي بحث العلماء المتأخرون في موضوعاتها ووجدوا من القرآن خير مرشد للتفكير فيها، فقد أشارت إلى علم الفلك ونشأة الكون في قوله تعالى: [خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار] وأشارت إلى علم الملاحة البحرية في قوله تعالى: [والفلك التي تجرى في البحر]، وأشارت إلى علم النبات والزراعة في قوله تعالى: [فأحيا به الأرض بعد موتها]، وأشارت إلى علم الحيوان في قوله تعالى: [وبث فيها من كل دابة]، وأشارت إلى علم الأرصاد الجوية في قوله تعالى: [وتصريف الرياح

(١) التفسير الوسيط، تأليف: د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، (٣ / ٢٢٩٤، ٢٢٩٥)، بتصرف يسير، نشر: دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

(٢) سورة البقرة، الآية: (١٦٤).

والسحاب المسخر بين السماء والأرض] وقد أدى التفكير فيها إلى معرفة نواميسها ومقوماتها ونظامها، فسبحان من هذا كلامه"[١].

إن الكون المتسم بالتخطيط المصطبغ بالتنظيم طالما كان حافزًا فعالًا لكل عين ترمق جوانب عظمته فتنهل الفرائد اليانعة، وتُحَوِّل ما انطبق عليه عقل الناظر إلى دروس ساطعة وفوائد عملية لها أثر يُطيل أمدها، لا سيما إن كانت تلك الدروس مما يتعلق بالدعوة إلى الله تعالى وهداية مَنْ في الكون إلى طريق خالق الكون؛ وبما أن ذلك من الأهمية بمكان فسأفسح له سطورًا تجليه.

التخطيط والتنظيم الدعوي:

تعد معالم الآيات الكونية وعلى رأسها التخطيط والتنظيم مادة المنهج الحسِّي في الدعوة إلى الله تعالى وغذاء أساليبه، وهي المعنية دومًا بالنظر فيها استنباطًا لمزيج من الفوائد والقواعد القابلة لوضع حياة المسلم على خط الاستقامة، وأما عن الداعية بوجه خاص فليس له ثمة عذر في استدبار خير تلك المعالم وطي منافعها كسلًا أو عدم مبالاة، إذ هو القارئ لكتاب الله المسطور الباحث في كونه المنظور، وعليه مسؤولية مركبة تجاه نفسه وتجاه دعوته وتجاه مدعويه، لذا كان لزامًا عليه أن يحسن الإسقاط من تلك المعالم على دعوته، وأن يجيد التوظيف عمليًا لما يفقهه من مضامينها ودُرَرِها.

ومن أهم ما يمكن للداعية رصده من إفادة في هذا المضمار أن يتعلم كيف يحسن التخطيط لدعوته وأن يتفهم كيف يخلص في تنظيم دورتها بين المدعوين، وهذا هو محصول الداعية المتدبر لمظاهر التخطيط الرباني للكون.

والمقصود بالتخطيط في الدعوة: تَفَهُّم الداعية لشمول أهداف دعوته ومقاصدها، وإدراكه الوسائل التي ينبغي أن يسلكها لتحقيق هذه الأهداف، ثم وضع خطة محددة المعالم ينظم جهوده على ضوئها، مراعياً الإمكانيات المتاحة له، والظروف المؤثرة في الواقع، بحيث تكون هذه الخطة مؤدية إلى تحقيق الأهداف المقصودة، وألا يترك العملية الدعوية تسير خبط عشواء مستندةً إلى

---

(١) القرآن وإعجازه العلمي، تأليف: محمد إسماعيل إبراهيم، ص: (١٤١)، نشر: دار الفكر العربي – دار الثقافة العربية للطباعة، بدون تاريخ.

محدودية النظر والتصرفات الوقتية المرتجلة، بل يحسن توقع العقبات المحتَمَلة[١].

ومن أهم ما يعين الداعية على تحديد خطته الدعوية وضمان نجاحها:

(١) الاستضاءة بنور النبوة في التخطيط للدعوة: إن المتبصر في منهج النبي ﷺ في دعوته إلي الله يجد أنه انطلق من رؤية إبداعية تدرك متطلبات كل مرحلة، وتدرك طبيعة البيئة التي تمثل الإطار الحركي للدعوة، مع عدم إغفال الأهداف الأساسية، وقد كان تخطيطه ﷺ للدعوة إلي الله تعالى على مرحلتين: مكية، ومدنية.

"**فالمرحلة المكية اتخذت عدة خطوات منها:** الدعوة السرية: وهي مرحلة التأسيس والبناء، والدعوة الجهرية، وفيها توطين الحركة على الانضباط النفسي إعدادًا للهجرة والجهاد، وطلب النصرة من القبائل، والبحث عن سند اجتماعي تمهيدًا لبيئة دعوية جديدة؛ **أما المرحلة المدنية فقد اتخذت عدة خطوات مثل:** تشريع الجهاد، وإدارة الصراع في مواجهة المشركين، والبعد الاستراتيجي لمواجهة أعداء آخرين، ومراعاة الظروف المتغيرة في رسم الخطط الأمنية والاقتصادية"[٢].

(٢) وضع الأهداف الاستراتيجية للدعوة: والأهداف الاستراتيجية غايات حكيمة غير عادية ولا تقليدية، لا تخلو من نظر ثاقب وحدث مدروس وبُعْدٍ مرصود وتوفيق بين القوى والملكات من ناحية وطبيعة المواجهة وحالة الأطراف المقابلة من ناحية أخرى، "وهي تبدأ من المنطلق الاستراتيجي الإحكامي البعيد المدى عن طريق القياديين ومفكري الأمة مثلما حصل في خطة صلح الحديبية ذات النظرة البعيدة الذي يعده بعض المؤرخين بداية الفتح الإسلامي الفعلي، ثم على الأهداف أن تتسم بالواقعية والمرونة والشمولية، وأن تتناسق فيما بينها لضمان استمراريتها"[٣].

---

(١) راجع: التخطيط في خدمة الدعوة إلى دين الله، خالد صقير الصقير، مقال بمجلة البيان، ص: (٢٢ – ٢٥)، بتصرف واختصار شديدين، العدد: (١٢٤)، ذو الحجة ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.

(٢) راجع: فن التخطيط وأثره في حياة الداعية، تأليف: يحيى عبيد ثماني الخالدي، ص: (٦، ٧)، دار القاسم، الرياض، المملكة العربية السعودية، بدون تاريخ.

(٣) راجع: الخطة والتخطيط، لماذا وكيف؟، تأليف: نبيل بن جعفر الفيصل، ص: (١٧ – ٢٠)، بتصرف واختصار، مطابع التسهيلات، الخبر، المملكة العربية السعودية، ١٤١٣هـ.

(٣) حسن اختيار المعين على الدعوة: وهي مسألة مفتقرة إلى رؤية متكاملة تتألف من دقة النظرة في السمات العامة والخاصة للشخص أو المجموعة المختارة، مع قياس مدى قابليته لمبادئ الدعوة ومدى قدرته على الاستمرار وصلابته في مواجهة خصوم الدعوة، وفي المجمل تأثيره العام في الأجواء والأحداث.

لهذا كان النبي ﷺ ينتقي أعوانه على نحو يطير بالدعوة إلى غايتها آمنة من النكوص فهي على عواتق الصلاب الشداد، وما من قبيلة في مكة في مهد الدعوة إلا وكان منها من آمن برسول الله وساهم في بلوغ دعوته، وقد كان من أشهر ما ورد عن رسول الله في حسن اختيار المعين ما رواه ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: **["اللهم أعز الإسلامَ بأحبّ هذين الرجلين إليك، بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب"**، فكان أحبُّهما إلى الله عمر بن الخطاب**]**(١).

(٤) وضع برنامج متكامل يضمن للدعوة أعلى درجات النجاح: يجمع هذا البرنامج بين عمق الدراسة، والعنصر المادي، والموضع الجغرافي، والكادر البشري، والوعي بحال وثقافة المخاطب بالدعوة، والإحاطة بثقافة المنافس للدعاة على الجمهور، وتفصيل ذلك فيما يلي:

١- "دراسة وافية شاملة للبلاد التي توجه إليها الدعوة من جهة نظام الحكم والنظام المذهبي والاجتماعي، والعقيدة والعادات والإمكانيات المادية وظروفها المختلفة.

٢- الإفادة من طرق المبشرين والدعاة إلى الأديان والمذاهب الأخرى، ودراسة أساليبهم وخططهم في الدعوة، لمقارعة الحجة بالحجة إن كان هناك نزال في الميدان.

٣- إنشاء جهاز يوجه الدعوة ويعد لها كل الإمكانيات والترتيبات المختلفة، يتكون من المتخصصين وتكون مهمته الأساسية هي الدعوة النقية الخالصة.

٤- إعداد الداعي الذي يتولى نشر الدعوة العالمية، وإعداده يقوم على ثلاث دعائم أساسية هي: التمكن العلمي، والدراية الفنية، والتميز الخِلْقي، والخُلُقي.

---

(١) **صحيح/** أخرجه الإمام أحمد في مسنده، (٥/ ١٨٩)، رقم: (٥٦٩٥)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، نشر: دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.

٥- أن تكون هناك حكمة في الدعوة، أي تخطيط دقيق مستوحى من القرآن الكريم والسنة وما يضاف إليهما من التجارب والخبرات.

٦- نشر الدعوة بكل الوسائل الممكنة مثل الصحافة والإذاعة والترجمة والاجتماعات الدورية والبعوث، وإنشاء مراكز متخصصة في الدعوة وتعليم الطلاب الوافدين.

٧- أن يكون العمل بالدين ومبادئه واقعًا حيًا في المجتمع الإسلامي، وهي أكبر دعاية له"[١].

إن مزيدًا من النظر في الكون لينفث في روع كل داعية وباحث، ويهمس في أذن كل مسلم وناظر أن الصدفة والعشوائية لا تصنع نجاحًا، وأن التخطيط والتنظيم حلقة تصل الإبداع بالاستمرار، ورحم تحتوي مضامين الدعوة أجنة ثم تدفعها إلى الوجود أحداثًا تنتظر الرعاية بالنشر والتعهد بالمتابعة، وما دون ذلك من أفكار فليس من دعوة الإسلام، بل ليس من الإسلام ذاته.

---

(١) راجع: الدين العالمي ومنهج الدعوة إليه، تأليف: الشيخ/ عطية صقر، ص: (١٧٠ – ٢١٧)، بتصرف واختصار شديدين، نشر: مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، عام: ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

المبحث الثاني
التســـــوية والتقـــــدير

ذاك معلم بارز من معالم الآيات الكونية، وهو الآتي ثانيًا في الرتبة الزمنية بعد التخطيط والتنظيم، حيث الإخراج النهائي لهيئة المخلوق في صورته الكاملة، ثم تقدير عمله وتفصيل ممارساته، ويمكن اعتبار العلاقة بين التخطيط والتنظيم والتسوية والتقدير[١] تمامًا كالعلاقة بين التصميم والتفعيل، أو كالعلاقة بين البناء والعمل، وعن هذا المَعْلم يقول تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى * الَّذِى خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِى قَدَّرَ فَهَدَى﴾[٢].

وهذا ما يعكس كمال القدرة الإلهية في الخلق، إذ إنه ﷻ خطط ونظم، ثم خلق وسوى، ثم قدر وهدى، فكانت منظومة الخلق كما تُرَى للمتدبرين عظيمة لا عوج فيها ولا أمت، والتسوية والتقدير إنما كانا على المستوى الكوني كله، فكل ما في الكون خضع للتسوية الشكلية والضمنية، وللتقدير الوظيفي والعملي، كما سيتبين في السطور القادمة.

أولاً: التسوية والتقدير على مستوى الآفاق:

تتجلى لكل ناظر مُتَحَقِّق مظاهر العظمة الربانية في تسوية الكون، حيث يرى ما عليه السماوات من ارتفاع بلا عمد، وما عليه الأرض من انبساط بلا خلل، وما عليه الشمس والقمر والجبال والنجوم والشجر والدواب من بهاء المنظر

---

(١) **التسوية تعني التوسيط والتعديل وجعل الشيء في أتم صورة، يقال:** "سوى الشيء: أي جعله سويّاً، قال الله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَما سواها﴾، [سورة الشمس الآية: ٧]، أي: وتسويتها، وهو خَلْقُها سوية لم يُنْقص منها شيء". شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تأليف: نشوان بن سعيد الحميري اليمني، (المتوفى: ٥٧٣هـ)، (٥/ ٣٢٨٠)، بتصرف، تحقيق: د. حسين بن عبد الله العمري، مطهر بن علي الإرياني، د. يوسف محمد عبد الله، نشر: دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان – دار الفكر، دمشق، سورية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م؛ والسَّواءُ: العَدْلُ، والوَسَطُ، والغَيْرُ. القاموس المحيط، باب الواو والياء، فصل السين، ص: (١٢٦٧)؛ **وقال الفخر الرازي:** التسوية والتقدير عبارة عن: التصرف في الأجزاء الجسمانية وتركيبها على وجه خاص لأجله تستعد لقبول تلك القوى. مفاتيح الغيب "التفسير الكبير" تأليف: أبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، (المتوفى: ٦٠٦هـ)، (١٢٩/٣١)، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.

(٢) سورة الأعلى، الآيات: (١ – ٣).

وجمال المظهر، إنها الصنعة الربانية البادية التي قال الله عنها: ﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ * ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ (١).

يتحدث عن هذا الأمر تفصيلًا مطولًا ابنُ القيم – رحمه الله – حيث يقول: "**من عجائب قدرة الله صنعه في ملكوت السماوات**، وعلوها، وسعتها، واستدارتها، وعظم خلقها، وحسن بنائها، وعجائب شمسها وقمرها وكواكبها، ومقاديرها، وأشكالها، وتفاوت مشارقها ومغاربها؟!، فلا ذرة فيها تنفك عن حكمة، بل هي أحكم خلقًا، وأتقن صنعًا، فانظر إلى هذا البناء الشديد العظيم الواسع الذي رفع سمكه أعظم ارتفاع، وزينه بأحسن زينة، وأودعه العجائب والآيات، وكيف ابتدأ خلقه من بخار ارتفع من الماء وهو الدخان، **فارجع البصر إلى السماء** وانظر فيها وفي كواكبها ودورانها، وطلوعها وغروبها، وشمسها وقمرها، واختلاف مشارقها ومغاربها، ودؤوبها في الحركة على الدوام من غير فتور في حركتها ولا تغير في سيرها، بل تجري في منازل قد رتبت لها بحساب مقدر لا يزيد ولا ينقص إلى أن يطويها فاطرها وبديعها، **ثم انظر إلى مسير الشمس** في فلكها في مدة سنة(٢)، ثم هي في كل يوم تطلع وتغرب بسير سخرها له خالقها لا تتعداه ولا تقصر عنه، **وانظر إلى القمر وعجائب آياته**؛ كيف يبديه الله كالخيط الدقيق، ثم يتزايد نوره ويتكامل شيئًا فشيئًا كل ليلة حتى ينتهي إلى إبداره وكماله

---

(١) سورة الملك، الآيات: (٣ – ٥)؛ وفي نفس السياق المَعْنِي بالحديث عن خلق السماء وإحكام صنعها يقول الله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾، [سورة الذاريات، الآية: ٧]، "أي: ذات الطرائق، وطرائق السماء قسمان: محسوسة، وهي مسير الكواكب ومعقولة، وهي مسير العقول في التفكير فيها للتوصل إلى العلوم والمعارف، أو ذات النجوم، والنجوم تزين السماء، كما تزين طرائق الوشي الثوب وتحسن شكله ومنظره. الجواهر في تفسير القرآن الكريم، (٢٣ /١١٧).

(٢) كان يعتقد قديما بأن الشمس تدور حول الأرض، ثم تطور الاعتقاد إلى أنها ثابتة والأرض تدور حولها، لكن مع تطور العلوم تبين أن الشمس ليست ثابتة بل تتحرك حول نفسها أيضًا وهدا ما أثبته الفلكي الإيطالي "غاليليو غاليلي" عام١٦١٠م أثناء رصده للبقع الشمسية التي تظهر على سطح الشمس، ومع تطور العلوم الفلكية تبين أيضا أن الشمس نجم مثل كل النجوم التي نراها في السماء وتدور حول مركز المجرة، يقول عز وجل: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾، [سورة يس، الآية: ٣٨]، راجع: الكون طريقي إلى الله، تأليف: عماد مجاهد، ص: (٢٣٥)، بتصرف، طبعة: دروب للنشر، عمان، الأردن، ٢٠١٠م.

وتمامه، ثم يأخذ في النقصان حتى يعود إلى حالته الأولى[١]؛ **وما من كوكب من الكواكب إلا وللرب تبارك وتعالى في خلقه حِكَم كثيرة**، ثم في مقداره، ثم في شكله ولونه، ثم في موضعه من السماء وقربه من وسطها وبعده، وقربه من الكوكب الذي يليه وبعده منه؛ **وإذا نظرت إلى الأرض** كيف خُلقت رأيتها من أعظم آيات فاطرها وبديعها، خلقها سبحانه فراشًا ومهادًا، وذللها لعباده، وجعل فيها أرزاقهم وأقواتهم ومعايشهم، وجعل فيها السبل لينتقلوا فيها في حوائجهم وتصرفاتهم، ووسَّع أكنافها، ودحاها فمدها وبسطها، وطحاها فوسَّعها من جوانبها، **ثم انظر كيف أحكم جوانبها بالجبال الراسيات الشوامخ الصم الصلاب**، وكيف نصبها فأحسن نصبها، وكيف رفعها وجعلها أصلب أجزاء الأرض، لئلا تضمحل على تطاول الزمان[٢]، **ومن آياته الباهرة: هذا الهواء**[٣] اللطيف المحبوس بين السماء والأرض، يُدْرَك بحس اللمس عند هبوبه، يُدْرَك جسمه ولا يرى شخصه، فهو يجري بين السماء والأرض، والطير محلقة فيه سابحة بأجنحتها في أمواجه كما تسبح حيوانات البحر في الماء، وتضطرب جوانبه

---

(١) راجع في تفصيل هذه النقطة: الكون والقرآن كتاب يبحث في علم الفلك، ص: (٧٠ – ٧٢).

(٢) هناك العديد من آيات الله تعالى في خلق الأرض وجعلها صالحة للعمران، وبعدها عن الشمس بمقادير محددة، وأبعادها من حيث الحجم والمساحة والاتجاهات وبنيتها الداخلية وغلافها الصخري ومجالها المغناطيسي، وتثبيتها وغلافها الصخري بالجبال حتى تدور حول محورها بلا ترنح، وغيرها من الآيات التي قال الله فيها: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾، [سورة الذاريات، الآية: ٢٠]، راجع في هذا: من آيات الإعجاز العلمي "الأرض في القرآن الكريم"، تأليف: د. زغلول راغب محمد النجار، ص: (٨٤ – ٩٦)، طبعة: دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

(٣) في شأن الرياح قال تعالى: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا * فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا * فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا * فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ﴾، سورة [الذاريات، الآيات: ١ –٤]، والفاء هنا لترتيب الأفعال وذات واحدة، وهي الرياح، وجواب القسم قوله إنما توعدون لصادق، فإن هبوب الرياح، وذروها التراب، وحملها السحاب، وجريها في الهواء بسهولة، وتقسيمها للأمطار، كل ذلك مخالف لناموس الجاذبية؛ إن كل ما على الأرض منجذب لها ويقع عليها، ولكن هنا تصرفت الرياح تصرفًا عجيبا، وهذا التصرف تابع لسير الكواكب، لأنها بجريها وبجري الشمس تؤثر جميعها في أرضنا وفي هوائها، فيتم ما ذكر، فما زرت الرياح التراب، ولا حملت السحاب، ولا قسمت المطر على البقاع إلا بالحركات الفلكية المنظمة. الجواهر في تفسير القرآن الكريم، (٢٣ / ١١٦، ١١٧)، بتصرف.

وأمواجه عند هيجانه كما تضطرب أمواج البحر؛ **ومن آياته: السحاب**[١] المسخر بين السماء والأرض، كيف ينشئه سبحانه بالرياح فتثيره كسفًا، ثم يؤلف بينه ويضم بعضه إلى بعض، ثم تلقحه الريح- وهي التي سماها سبحانه لواقح- ، ثم يسوقه على متونها إلى الأرض المحتاجة إليه، فإذا علاها واستوى عليها أهرق ماءه عليها، فيرسل سبحانه عليه الريح وهو في الجو فتذروه وتفرقه لئلا يؤذي ويهدم ما ينزل عليه بجملته، حتى إذا رويت وأخذت حاجتها منه أقلع عنها وفارقها، فهي روايا الأرض محمولة على ظهور الرياح، **وتأمل كيف جعل الليل سكنًا ولباسًا** يغشى العالم فتسكن فيه الحركات، وتأوي الحيوانات إلى بيوتها والطير إلى أوكارها، وتستجم فيه النفوس وتستريح من كد السعي والتعب حتى إذا أخذت منه النفوس راحتها وسُبَاتها، وتطلعت إلى معايشها وتصرفها جاء فالق الإصباح سبحانه وتعالى بالنهار يقدم جيشه بشير الصباح، فهزم تلك الظلمة ومزقها كل ممزق، وأزالها وكشفها عن العالم فإذا هم مبصرون، فانتشر الحيوان وتصرف في معاشه ومصالحه وخرجت الطيور من أوكارها[٢]؛ **ومن آياته وعجائب مصنوعاته: البحار**[٣] المكتنفة لأقطار الأرض التي هي خلجان من

---

(١) إذا أرسلت الشمس حرارتها على الأرض والبحار صار الماء بخارًا، فارتفع إلى الطبقة الباردة فتكون ماءً وتصير قطعًا صغيرة تتضام وتصير قطعًا كبيرة وأكبر منها حتى تصير سحابة تمطر على الأرض. القرآن والعلوم العصرية، تأليف: الشيخ طنطاوي جوهري، ص: (٣٧)، طبعة: دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٣٤٤هـ، ١٩٢٦م؛ ومن عجائب خلق الله في السحاب أنه لا يرتفع عن سطح الأرض أكثر من ١٦,٠٠٠ ذراع، ولو كان قريبًا من الأرض أكثر من ذلك لأضر بالإنسان والحيوان والنبات، ولو كان مرتفعًا أكثر من ذلك ولو قليلًا لجاءت الأمطار والثلوج على غفلة دون أن ينتبه لها إنسان أو حيوان، ولو زاد بُعْدُه لتعفنت الحياة بجفاف الزرع وكثرة العمران. الجواهر في تفسير القرآن، (١/١٥٥)، بتصرف شديد.

(٢) تشرق الشمس على الأرض في دورانها فيكون النهار، ويكون ذلك الإشراق في جزء من الأرض، وفي دورانها تخفى الأرض نصفًا منها فيكون ليلًا وفي النصف الآخر النهار، وهكذا تتعاقب الأيام والليالي وهكذا النظام الذي ابتدعه منشئ الوجود رب العالمين. زهرة التفاسير، تأليف: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، (٧/٣٥١٨)، نشر: دار الفكر العربي، بدون تاريخ.

(٣) هناك العديد من الآيات الربانية في خلق البحار، وتوزيع غلافها المائي على الأرض، وعناصر مياه البحار وخواصها وأحيائها، والتدرج الحراري فيها، والجبال والوديان التي تحتويها، وأنواع البحار والمحيطات والأنهار، وأهم المواقع الاستراتيجية والمضائق والقنوات بداخلها، وكيفية تسيير الفلك على متنها... وغيرها من الآيات الباهرات المذكورة تفصيلًا في: الموسوعة الكونية الكبرى،

البحر الأعظم المحيط بجميع الأرض، حتى إن المكشوف من الأرض والجبال والمدن بالنسبة إلى الماء كجزيرة صغيرة في بحر عظيم، وبقية الأرض مغمورة بالماء[١].

وتأسيسًا على ما سبق فقد أخذت السماوات وما تشمله والأرض وما تحتويه لمسة ربانية بديعة من الإتمام والتسوية، ثم كانت الأوامر بالعمل وتقدير الوظائف، إذ ما من شيء في هذا الكون الفسيح إلا وهو سائر بقدر، وصائر لقدر، ومحفوظ بقدر، قال ﷻ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[٢].

إذن تبدو منظومتا الكون [السماوية، والأرضية] لكل مُحَلِّق بعقله مُحَدِّق ببصره عملًا ربانيًا متقنًا أخذ من التسوية أعظم المظاهر ومن التقدير أكمل المستويات.

ثانياً: التسوية والتقدير على مستوى الكائنات والنباتات:

يضم الكون الفسيح أعدادًا مهولة من الكائنات الحيَّة تصل فصائلها وصنوفها إلى ملايين، تختلف فيما بينها في شكل وتفاصيل الحياة، لكن يجمعها جميعًا الإعجاز الرباني في تسوية الخلقة وتقدير الوظيفة والتيسير لما خلقت له، وسأعطي لبيان ذلك مجالًا محدودًا فيما يلي:

(١) تسوية خلق الكائنات وتقدير أحوالها: خلق الله تعالى الكائنات الحية من حيوانات وطيور وأسماك وحشرات وزواحف وكائنات دقيقة وغيرها خلقًا بديعًا، وصورها تصويرًا عظيمًا، وقدر أحوالها تقديرًا حكيمًا ففيها العجب؛ حيث فيها ساكن البر وساكن البحر وساكنهما معًا، وساكن الجو وساكن باطن الأرض... ولولا هذا التوزيع لازدحمت الحياة بهم وتوقفت، وفي تلك الكائنات آكل اللحم، وآكل الحب، وآكل النباتات، وآكل الحشرات، وآكل الكائنات الدقيقة، وآكل بعضه، ولكل كائن ملكاته الخاصة وقدراته المميزة في الحواس والبنية الجسمية والحجم والتنفس والعمر واللغة والصيد والطعام والهضم والتناسل والدفاع عن

تأليف: د. ماهر أحمد الصوفي، (١٧١/٨– ٤٠٦)، طبعة: المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ٢٠٠٨م، ١٤٢٩هـ.

(١) راجع: مفتاح دار السعادة، (٥٦٠/٢ – ٥٨٣).

(٢) سورة القمر، الآية: (٤٩).

النفس، والدرجة المحدَّدة في الهرم الغذائي، والانخراط في مجتمعه، والتكيف مع بيئته، فسبحان من خلق فسوى وقدر فهدى[١].

(٢) تسوية خلق النباتات وتقدير أحوالها: عالم النبات كشأن العوالم الأخرى في هذا الكون مليء بالعجائب والغرائب ما ظهر منها وما بطن، أما ما ظهر منها فهو زاد المنهج الحسي، وأما ما بطن منها فهو جزء من عماد أسلوب الحكمة، وشيء من طابع الدعوة في مخاطبة أهل العلم المتخصصين.

وقد أشارت آيات القرآن إلى طرف من تلك العجائب في تسوية الحال وتقدير المنافع، من ذلك قول الله تعالى:﴿وَهُوَ الَّذِى أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ

(١) في مختصر ضيق كهذا لا تتسع لصرير القلم صفحات الإبداع في تناول آيات الله في خلق الكائنات مهما حاول الكاتب تكلفًا، ومن ذا الذي يستطيع مهما أوتي من بيان أن يجمل بدائع الصنائع الربانية في جُمَل أو حتى فقرات، لذا أحيل من رام فضلًا من التفصيل، أو قسطًا من الشرح والتطويل إلى ما يلي من مصادر:

١- مفتاح دار السعادة لابن القيم، (٦٧٣/٢ – ٧١٨).
٢- الجواهر في تفسير القرآن الكريم، للشيخ/ طنطاوي جوهري، [تفسير آيات الخلق].
٣- جواهر العلوم، للشيخ/ طنطاوي جوهري، ص: (٥٦ – ١١١)، مطبعة الترقي، العتبة، القاهرة، بدون تاريخ.
٤- جمال العالم، للشيخ/ طنطاوي جوهري، ص: (٢ – ١٠٣)، مطبعة الجمهور، القاهرة، الطبعة الأولى بدون تاريخ.
٥- الله والعلم الحديث، عبد الرزاق نوفل، ص: (٦٣ – ٧٥).
٦- الموسوعة الكونية الكبرى، د. ماهر أحمد الصوفي، (المجلد ١١، ١٢).
٧- الموسوعة الميسرة للإعجاز العلمي في القرآن الكريم "الحيوان في القرآن الكريم"، تأليف: د. زغلول راغب محمد النجار، نشر: مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٣٧هـ، ٢٠١٦م.
٨- المملكة الحيوانية، تأليف: د. أمين رشدي حمدي، نشر: وكالة الصحافة العربية، الجيزة، مصر، ٢٠١٩م.
٩- الحيوان، تأليف: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء الليثي أبي عثمان الشهير بالجاحظ، (المتوفى: ٢٥٥هـ)، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ؛ وغيرها من المصادر.

طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(١).

قال ابن القيم: "تأمل الحكمة الباهرة في هذه الأشجار؛ كيف تراها في كل عام لها حَمْل ووضع، فهي دائما في حَمْل وولادة، فإذا أذن لها ربها في الحمل احتبست الحرارة الطبيعية في داخلها واختبأت فيها؛ ليكون فيها حملها في الوقت المقدر لها، فيكون ذلك الوقت مبدأ تكوين النطف، فتعمل المادة في أجوافها عملها، حتى إذا آن وقت الحمل دب فيها الماء، فلانت أعطافها، وتحركت للحمل، وسرى الماء في أفنانها، وانتشرت فيها الحرارة والرطوبة، حتى إذا آن وقت الولادة كُسِيَت من سائر الملابس الفاخرة من النور والورق ما تتبختر فيه، فإذا تكامل الحمل وآن وقت الفطام تدلَّت إليك أفنانها كأنما تناولك ثمرة كبدها، فإذا قابلتها رأيت الأفنان كأنها تلقاك بأولادها وتحييك وتكرمك بهم وتقدمهم إليك، حتى كأن مناولًا يناولك إياها بيده، وكل هذا إكرامًا لك وعناية بأمرك، وتخصيصًا لك وتفضيلًا على غيرك، أفيجمل بك الاشتغال بهذه النعم عن المنعم بها؟!"(٢).

زد على ذلك الإبداع الإلهي في جهاز النبات الغذائي [الجذور]، وعملية تبخير الماء من التربة إلى تلك الجذور حتى الأوراق بكميات كبيرة تعمل على تلطيف الجو، وتكوين الغذاء في النبات أو ما يسمى بالتمثيل الكربوني، وتنفس النبات، وتَكَيُّفه مع بيئته، فهناك النباتات البرية، والنباتات الصحراوية، والنباتات المائية، كما أن هناك النباتات المتسلقة، والنباتات أكلة الحشرات، كما زود الله تعالى النبات بالقدرة على حفظ النوع عن طريق الأوعية التي تسمى بالثمار، والتي يمكن أن تنتقل من مكان إلى آخر بحملها عن طريق الرياح أو الأشخاص أو عوامل أخرى، وفي النباتات فصائل تقترب من نصف مليون، منها ما يعمِّر أيامًا، ومنها ما يعمِّر سنين، ومنها ما يعمِّر أضعاف أضعاف عمر الإنسان، بل إن منها ما عمَّر ٣٠٠٠ عام ومنها ما عمَّر ٦٠٠٠ عام(٣).

---

(١) سورة الأنعام، الآية: (٩٩).

(٢) راجع: مفتاح دار السعادة، (٢/ ٦٤٠ – ٦٦٥).

(٣) راجع: الله والعلم الحديث، ص: (٧٦ – ٨٨)، **وللوقوف على المزيد من دلائل الإعجاز الرباني في خلق وتسوية وتقدير النبات مثل: اختلاف الأنواع والألوان والأشكال والنفع والإحساس والتألم ولغة التواصل والذاكرة والعاطفة وقراءة الأفكار والقدرة على التنكر والتعامل مع المتغيرات**

ثالثاً: دخول الاكتشافات البشرية في سياق التقدير الإلهي:

من عظيم ما للتقدير الإلهي من سمت باهر أنه بارز في حياة المخلوقات على نحو مفصَّل عظيم، يقول الإمام الفخر الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى * الَّذِى خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِى قَدَّرَ فَهَدَى﴾[١]: "قدَّر يتناول المخلوقات في ذواتها وصفاتها كل واحد على حسبه، فقدَّر السموات والكواكب والعناصر والمعادن والنبات والحيوان والإنسان بمقدار مخصوص من الجثة والعظم، وقدَّر لكل واحد منها من البقاء مدة معلومة ومن الصفات والألوان والطعوم والروائح والأيون[٢] والأوضاع والحسن والقبح والسعادة والشقاوة والهداية والضلالة مقدارًا معلومًا على ما قال:﴿وَإِنْ مِنْ شَىْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾[٣]، وتفصيل هذه الجملة مما لا يفي بشرحه المجلدات، بل العالم كله من أعلى عليين إلى أسفل السافلين تفسير هذه الآية وتفصيل هذه الجملة"[٤].

ثم إن هذا التقدير ظاهر كذلك فيما توصَّل إليه البشر من ابتكارات وإبداعات على مدار الزمان قلَّت أو كثرت، والناظر في كتاب الله والقارئ لتفسيره يجد هذا المعنى واضحًا لا غموض فيه ولا التباس.

والأخطار بذكاء فطري راجع: القرآن والعلوم العصرية، ص: (٤٠ – ٤٣)؛ وراجع كذلك: دماغ النباتات، تأليف: د. سعد الله نجم النعيمي، طبعة: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٢١م؛ وراجع: أغرب من الخيال "النبات يحب ويتألم ويقرأ أفكار البشر"، تأليف: راجي عنايت، طبعة: دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م؛ وراجع: الموسوعة الميسرة للإعجاز العلمي في القرآن الكريم "النبات في القرآن الكريم"، تأليف: د. زغلول راغب محمد النجار، ص: (٤٣ – ٢٢١)، نشر: مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٣٧هـ، ٢٠١٦م؛ وراجع: عالم النبات في القرآن الكريم، تأليف: د. عبد المنعم فهيم الهادي، د. دينا محسن بركة، طبعة: دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م؛ وراجع: إحياء علوم الدين، تأليف: أبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، (المتوفى: ٥٠٥هـ)، (٤/٤٤٠)؛ نشر: دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.

(١) سورة الأعلى الآيات: (١-٣).

(٢) جمع أين. معجم متن اللغة، (١/٢٧٧).

(٣) سورة الحجر، الآية: (٢١).

(٤) مفاتيح الغيب، (٣١/١٢٩).

يقول الإمام الفخر الرازي أيضًا في تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِى خَلَقَ لَكُمْ مَا فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾[١]، "وجمع بقوله: [ما في الأرض جميعًا] جميع المنافع، فمنها ما يتصل بالحيوان والنبات والمعادن والجبال، ومنها ما يتصل بضروب الحرف والأمور التي استنبطها العقلاء، وبين تعالى أن كل ذلك مخلوق لينتفع به كما قال: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾"[٢][٣].

والاختراعات مظهر ما أودع الله فيما حول الانسان من أسرار حكمته ودلائل قدرته الهادية إليه سبحانه، وهي من غير شك من أجل نعم الله على الإنسان، وقد أحاط بها كتاب الله الكريم عن طريق الآيات التي منَّ الله فيها بنعمه على الناس مثل قوله: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾[٤]، والصيغة استغراقية تستغرق كل نعمة كانت موجودة حين نزل القرآن وحتى آخر جيل يبلغه، والاختراعات مما يتفاضل به أهل العلم أو تتفاضل به الأمم، وإذن فقد أحاط بها من هذه الناحية قال تعالى: ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾[٥]، ومن ناحية شيئيتها فقد أحاط الله بها حيث قال: ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾[٦]، ومن خصائصها قيامها على التقدير وهي بذلك داخلة في تقديره سبحانه فقد قال: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾[٧]، وهي قائمة على الحساب العلمي والتقدير الصناعي في الكمّ والكيف، أضف إلى ذلك التقدير الزمني، وذلك كله لا يكون إلا بمراد الله القائل: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[٨]، فكل كمّ وكيف ووقت مرد تقديره إلى الله، وإذا كان الله هو خالق المعجزات على يد الأنبياء فهو كذلك خالق الاختراعات على يد العلماء، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[٩]، وقد

---

(١) سورة البقرة، الآية: (٢٩).
(٢) سورة الجاثية، الآية: (١٣).
(٣) مفاتيح الغيب، (٣٧٩/٢)، بتصرف يسير.
(٤) سورة النحل، الآية: (٥٣).
(٥) سورة هود، الآية: (٣).
(٦) سورة الرعد، الآية: (١٦).
(٧) سورة الفرقان، الآية: (٢).
(٨) سورة القمر، الآية: (٤٩).
(٩) سورة الصافات، الآية: (٩٦).

منَّ الله على البشر بأن هيأ لهم المواد اللازمة والأجواء اللازمة والقوانين الكونية اللازمة لنجاح تلك المخترعات، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِى خَلَقَ لَكُمْ مَا فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾(١)، وبدون ذلك يفشل البشر في حيازة أي نصر علمي، قال تعالى: ﴿وَالْفُلْكَ تَجْرِى فِى الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ﴾(٢)، وقال: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِى الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ * إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾(٣)(٤).

إذن فالتقدير الإلهي أشمل من أن تترجمه أحوال الآفاق أو غرائب المخلوقات، وأعظم من أن ينحصر في المشتهر من صُنْع الله، بل هو ممتدٌ متعدٍ لكل ما نالته يد البشر وما طالته عقولهم من كشف علمي أو نصر تقني أو تقدم رقمي، بل وأبعد مما قد يخطر على قلب بشر، ولا تزال القدرة الربانية تتحف العقول بمدد من هذا لا يغيض، قال تعالى: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾(٥).

التسوية والتقدير في الجانب الدعوي:

أبرز المعاني المستقرة في ذهن الداعية المتأمل تسوية الكون وتقدير حاله أن طريق الهداية غير مستغن عن داعية سوي يسري بالدعوة حيث تستقر على قمة القبول، ودعوة سوية تنهض بالمدعو وتقدم له ما يسد نهمه، والداعية السوي

---

(١) سورة البقرة، الآية: (٢٩).

(٢) سورة الحج، الآية: (٦٥).

(٣) سورة الشورى، الآيتان: (٣٢، ٣٣).

(٤) راجع: الإسلام في عصر العلم، تأليف: د. محمد أحمد الغمراوي، إعداد: د. أحمد عبد السلام الكرداني، ص: (٣٧٥ – ٣٨٢)، مطبعة السعادة، القاهرة، الطبعة الأولى،١٣٩٣هـ، ١٩٧٣م؛ **ومما يراه أهل العلم تأكيدًا على دخول التسوية والتقدير البشريين داخل التقدير الإلهي وانصهار الاختراعات الإنسانية في مشيئة الله تعالى** ما قيل في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا * فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا * وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا* فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا * فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا * عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴾ [سورة المرسلات، الآيات: ١ – ٦]، حيث يرى العلم بتفسيره العصري واجتهاده الذي قد يصيب ويخطئ أن هذه الآيات التي نزلت في الملائكة أو الرياح قد تصدق أوصافها على الطائرات الحربية التي صنعها البشر حيث إنها تُرسَل لوظائفها وتعصف بالأعداء وتفرق جموعهم، وتنشر رسائلها بالتهديد أو التأمين، وغير ذلك مما ذكرته الآيات قبل اختراع الطائرات، الأمر الذي يحمل أوضح الدلالات على دخول أحدث ما توصلت إليه العلوم البشرية في المقادير الإلهية. راجع في هذا: القرآن وإعجازه العلمي، ص: (١٦٥)، بتصرف واختصار شديدين.

(٥) سورة النحل، الآية: (٨).

والدعوة السوية كلاهما أيضًا غير مستغن عن الآخر، وغير مستغن عن خصائص تعبر عنه، وفيما يلي أشير إلى شيء منها:

(١) الداعية السَّوِي: إجمالًا يصح القول بأن الداعية السوي هو شخص استشعر أمانة التبليغ وثقل المهمة، فنظر إلى نفسه قبل أن ينظر إلى الناس، وقوَّم نفسه قبل أن يقوِّم الناس، والتزم الاستقامة قبل أن يُلزِم بها الناس، وكانت أهم سماته الشخصية – لا كلها – ما يلي:

(أ) جهاد النفس: ونفس الداعية كسائر النفوس، فيها الخير والشر والالتزام والفصام، وعليه فهو مأمور بجهاد نفسه، لا سيما وهو القدوة لغيره وفي نفس الوقت يملك منبرًا لو لم يكن ذا نفس سوية لاتخذه غرضًا ووسيلة شخصية لا أداة دعوية.

"وأبرز دلائل جهاد النفس الأخذ بالأوامر واجتناب المناهي طبق ما نطق به الكتاب الكريم وما دلت عليه السنة الشريفة، ولابد من اجتياز عقبات، وذوق مرارات، واحتمال مكابدات؛ لأن جهاد النفس أشد جهاد، فهي كلما ظن صاحبها بها خيرًا إذا بها تنفلت انفلاتًا وتشرد شرودًا يتبين منهما أنها لا تزال في الطريق وأنها لم تصل إلى الغاية بعد، فيجب الاتهام لها حتى تزكو، شأن العارفين بدخائلها والمشرفين على دفائنها بأعين نقادة بصيرة"(١).

(ب) التزكية الشاملة: وفيها التزام الداعية إطار فطرته غير زائغ عنها ولا مستدبر لها، سواء على مستوى الفطرة الجسدية أو الفطرة النفسية وهو ما يمكن التعبير عنه بالتزكية الشاملة؛ وهي قرينة الفلاح ولازمته، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾(٢).

"والتزكية تشمل الجسد والنفس والعقل والقلب والروح، لتحقيق مبدأ التكامل بين مكونات الوجود للإنسان فردًا ومجتمعًا في الوعي والسعي والعمل والعلم، والتزكية أساس صلاح الحالة النفسية ثم العقلية ثم السلوكية، وهي وسيلة لتحقيق صلاح المجتمع في كُلِّيته، وهي في المفهوم القرآني تربية اجتماعية متميزة يظهر

---

(١) التصوف بين الإفراط والتفريط، تأليف: د. عمر عبد الله كامل، ص: (٤٥)، بتصرف يسير، طبعة: دار نهضة مصر للطباعة، ٢٠٠١م.

(٢) سورة الأعلى، الآية: (١٤).

فيها الارتباط بينها كفعل والفلاح كنتيجة"[١]، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا *وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾[٢].

إذن فالتزكية تجنيب للجسد عن كل ما يؤذيه، وإبعاد للعقل عن كل ما يُتلِفه، وانحناء بالأخلاق عن كل ما يفسدها، كأنها حجاب كامل عن النقائص والردى، ونجاة بالذات من أن تلقفها أذرع الغي، وهذا من أبرز ما للشخصية السوية من خصائص.

(جـ) نقاء السريرة: وتلك سمة بدرجة منزلة، لا يصل إليها إلا ذوو السلام النفسي والتصالح مع الأقدار، والبراءة من مظالم العباد، والاستقامة على طريق الله، الذين حازوا الأفضلية على الغير والرئاسة في الخير، عن عبد الله بن عمرو، قال: قيل لرسول الله ﷺ: أي الناس أفضل؟ قال: **[كل مخموم القلب، صدوق اللسان]**، قالوا: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟، قال: **[هو التقي النقي، لا إثم فيه، ولا بغي، ولا غل، ولا حسد]**[٣].

هذا فقط نذر طفيف من أبرز ما للداعية السوي من سمات رئيسة، وإلا فهو الموسوم بالخير كله جملة وتفصيلًا.

(٢) الدعـــوة الســـوية: وأعني بالدعوة السوية هنا الدعوة التي امتازت في الشق التبليغي لا الشق التشريعي أو المصدري، ذلك أنها باعتبار المصدر لا توصف إلا بالعصمة، وباعتبار التشريع فهي أعدل القضايا وأنور الطرق إلى الهداية، أما من ناحية القدرة على التبليغ والنشر فهي نسبية المستوى لا توصف بالسواء المطلق لاختلاف الملكات لدي كل داعية مُبلِّغ، ولكي تصل إلى البغية في هذا المضمار فإنها تحتاج عددًا من العوامل منها:

(أ) حســن عـرض الدعــوة: ويراد به تشييد الدعوة شكلًا، وإجادة تقديمها في ثوب جذاب يجمع حولها الأتباع، وتلك مهارة دعوية لا غنى عنها، فإجادة

---

(١) المقاصد القرآنية الحاكمة وأبعادها التربوية، تأليف: د. كمال امساعد، ص: (٦٠ – ٦٣)، بتصرف واختصار شديدين، نشر: مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، الأردن، ٢٠٢٥م.

(٢) سورة الشمس، الآيات: (٧ – ١٠).

(٣) صحيح/ أخرجه الإمام ابن ماجة في سننه، أبواب الزهد، باب الورع والتقوى، (٢٩٩/٥)، رقم: (٤٢١٦)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عادل مرشد، محمَّد كامل قره بللي، عَبد اللّطيف حرز الله، نشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.

العرض وحسن التقديم يُحدث دويًا يتفوق في كثير من الأحيان على قوة المادة العلمية ودسامة المضمون، وكم من دعوة فقدت الذيوع والقبول – على قوتها وسلامتها – لعوار في العرض وضعف في التقديم وتقصير في الترويج، وكم من دعوة أخرى – أقل من سابقتها – قُدِّر لها بين الدعوات مكان لمَّا أحسن رُبَّانُها في توجيه دفتها صوب قلوب المدعوين.

(ب) استيعاب الخلاف السائغ: وأجلى مقتضيات الدعوة السوية الخلاص بها من الانحياز إلا للحق، والنجاة بها من التضامن إلا مع أهله، وما من دعوة صُوِّبت لغايتها سالمة من آثام الطريق إلا جادت بعطاء غير مجذوذ، لهذا كان المخبتون من سلف الأمة يحذرون وعورة التعصب للباطل ويتقون مغبة الانحياز للهوى، "فكان الإمام الشافعي –رحمه الله تعالى– يقول: "قولي صواب يحتمل الخطأ، وقول غيري خطأ يحتمل الصواب"، وذلك –ولا شك– قد كان منه دونما تجريح لأحد ولا اتهام له، ولا تنقص ولا ازدراء ولا تسفيه؛ إذ لا ينبغي ذلك لدى الأئمة كلهم[(١)]"؛ "وكان سفيان الثوري، يقول: إذا رأيت الرجل يعمل العمل الذي قد اختُلِف فيه وأنت ترى غيره فلا تنهه"[(٢)].

وخروج صاحب الرأي عن هذه الدائرة السمحة يوقع به في قعر الردى غير مأسوف على حاله، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾[(٣)].

(جـ) دراسة الأحداث وقراءة المآلات: من مقتضيات الدعوة السوية تفعيل فقه المآلات والنتائج والآثار، وبراعة التوقع لما يترتب على الفعل والترك، وهي بصيرة دعوية لا رفاهية في تركها.

---

(١) جواهر الدرر في حل ألفاظ المختصر، تأليف: أبي عبد الله شمس الدين محمد بن إبراهيم بن خليل التتائي المالكي، (٠٠٠ – ٩٤٢ هـ)، (١٥/١)، مقدمة التحقيق، بتصرف يسير، تحقيق وتخريج: د. أبو الحسن، نوري حسن حامد المسلاتي، نشر: دار ابن حزم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ، ٢٠١٤م.

(٢) الفقيه والمتفقه، تأليف: أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، (المتوفى: ٤٦٣هـ)، (١٣٦/٢)، تحقيق: أبي عبد الرحمن عادل بن يوسف العزازي، نشر: دار ابن الجوزي، السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ.

(٣) سورة فاطر، الآية: (٨).

"قال الشاطبي: النظر في مآلات الأفعال معتبر مقصود شرعًا كانت الأفعال موافقة أم مخالفة، وذلك أن المجتهد لا يحكم على فعل من الأفعال الصادرة عن المكلفين بالإقدام أو بالإحجام إلا بعد نظره إلى ما يؤول إليه ذلك الفعل، ومما يدل على ذلك أن رسول الله ﷺ رفض قتل من ظهر نفاقه حتى لا يقال إنه يقتل أصحابه، ورفض تأسيس البيت على قواعد إبراهيم لحداثة عهد قومه بالكفر، وأمر بترك الأعرابي الذي بال في المسجد حتى يتم بوله لأنه سينجس موضعًا أكبر إذا تم نهره، كما نهى عن التشديد على النفس في العبادة خوفا من الانقطاع"(١).

كما كان هناك اعتبار للمآلات عند الصحابة في الأحكام الفقيهة المتعلقة بالقضايا التي غشيت زمنهم، مثل: "جمع المصحف، وقتل الجماعة بالواحد، والامتناع عن قسمة أراضي الفيء، والمنع من تزويج الكتابيات، وإيقاع الطلاق الثلاث بلفظ واحد، وتنازل الحسن بن علي – رضي الله عنهما – عن الخلافة"(٢).

وبإحسان النظر في المآلات وتقدير الظروف والاحتمالات يعيش الداعية السوي مع الدعوة السوية على أرض الواقع الصادق، فيستطيع أن يوازن بين الأمل والحذر، وبين الجهد والثمرة حتى يجني خيرًا حقيقيًا لا وهمًا زائفًا يذهب بالدعوة إلى مرامي الفشل والتقهقر.

---

(١) راجع: الموافقات، تأليف: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، (المتوفى: ٧٩٠هـ)، (٥/ ١٧٧، ١٨١)، بتصرف واختصار شديدين، تحقيق: أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، نشر: دار ابن عفان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

(٢) راجع: اعتبار المآلات ومراعاة نتائج التصرفات "دراسة مقارنة في أصول الفقه ومقاصد الشريعة"، تأليف: عبد الرحمن بن معمر السنوسي، ص: (١٥٩ – ١٦٨)، طبعة دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

المبحث الثالث
التـــوافق والتـــوازن

يأتي هذا المعْلَم الدقيق ثالثًا في الرتبة الزمنية بعد مَعْلَمي التخطيط والتنظيم والتسوية والتقدير، لأنه إذا كان التخطيط لخلق الشيء يأتي أولًا، وتسويته وتقديره في الرتبة التالية، فلا بد أن يأتي ثالثًا ما من شأنه أن يكون ضمانة ربانية لبقاء هذا الخلق مستمرًا إلى أجله المعلوم وقدره المحتوم، وهذه الضمانة الربانية تتمثل في التوافق والتوازن الكوني الذي يراد به: حالة الانسجام الدائمة في الوجود والعمل بين الأجزاء والتفاصيل وبين العام والخاص في كل الآيات الكونية، بحيث لا يحدث تنافر ولا تصادم ولا تضاد يخل بالتوازن ويحقق الدمار للجميع، وسأوضح ذلك كله فيما يلي:

أولًا: التوافق والتـــوازن فـــي عالـم الآفـــاق:

من يتدبر حالة الكون يراها منظومة راسخة متماسكة كالحلق المتجاذبة، يأخذ سابقها بيد لاحقها ويتبع لاحقها سابقها في غير انحراف عن المسار المحدد، وبدقة لا مثال لها ولا نظير، الأمر الذي يحفظ لها توازنها في نفسها وتوافقها مع غيرها[1]، وفي القرآن الكريم آيات تخبر عن هذا التوازن والتوافق

---

(١) لقد ثبت علميًا أن الكون نظام محكم يعتمد في توازنه على أربع قوى:

١- **قوة الجاذبية:** بفضل هذه القوة يدور القمر حول الأرض وتدور الأرض حول نفسها وتدور الأرض والقمر والكواكب حول الشمس، وتدور المجموعة الشمسية بكاملها حول مركز مجرة درب التبانة، وكل مجرة في الكون هي في حركة مستمرة وتوازن مطلق، ولو انعدمت الجاذبية لتشتتت الكواكب والنجوم والمجرات بغير نظام، وقوى الجاذبية هي التي تجعل الكواكب كروية، وهي التي تساهم في ميلاد النجوم وموتها واستقرارها في الفضاء، وبفضلها أيضا تم اكشاف الكواكب قبل رؤيتها في المراصد، وبالجاذبية تسقط الأمطار على الأرض، وتسير الأنهار نحو البحار، وتمنع البحار المالحة من الصعود على اليابسة والاختلاط بمياه الأمطار العذبة، وبالجاذبية يبقى الغلاف الجوي محيطًا بالأرض.

٢- **القوة الكهرومغناطيسية:** وهي القوة التي تمسك بالذرات الي تتكون منها العناصر الطبيعية، وهي التي تمسك بين ذرتي الهيدروجين والأوكسجين، ومنهما يتألف الماء، وهي التي تعطي للأشياء شكلها، وتعدادها، ونوعيتها، وجمالها.

٣- **القوة النووية القوية:** وهي القوة التي تمسك بجزيئات النواة في الذرة وهي البروتون والنوترون، وهي القوة الأقوى، فمبدأ القنبلة النووية قائم على تحديد هذه القوة.

٤- **القوة النووية الضعيفة:** وهي تنظم عملية تحويل وتفتيت الجزئيات في الذرة فتسبب موت المادة؛ وتجدر الإشارة إلى أن هذه القوى الأربعة غير مرئية، وهذا ما يطابق النص القرآني: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ

الكوني في سياق دعا إلى التفكر في آيات الله، منها قول تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ * وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ * لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾(١).

وفي تلك الآيات ما يشير إلى عظيم صنع الله في توازن الكون من وجهين:

الوجـــه الأول: النشـاط الـدائم: إذ دأب الكون على الحركة التي لا تتوقف والدوران الذي لا يسكن في كل جانب من جوانبه، "فكل من الكواكب ومجموعات النجوم والكواكب والمجرات تدور حول نفسها في حركة محورية وتدور في مداراتها في حركة انتقالية، بل إن الكون كله يتحرك حركة انتقالية حول مركز سحيق يبعد عن خيال البشر، ولا يدري العلم الوضعي عنه القليل أو الكثير ولا يقع إلا في علم الله وحده ﷻ، وإذا كان الإنسان قد استطاع أن يكتشف بعض قوانين حركة الأجسام وديناميكيتها في المحيط الأرضي، فإنه يعجز عن معرفة كثير من خبايا حركة السُّدم والكواكب والمجرات والنجوم والمذنبات، ولا يزال يتخبط عند محاولته تحديد أسبابها ومسبباتها ونظم حركتها وسرعتها"(٢).

"وحتى الظواهر التي يشاهدها الإنسان على سطح الأرض ويحسب أنها جامدة ثابتة لا تتحرك كالجبال والهضاب والبحار هي في الحقيقة في حركة دائمة مع تحرك كوكب الأرض نفسه في حركته المحورية والانتقالية وحركاته الأخرى، وهذه الحركة تسبيح لله، ولكن الإنسان بما أوتي من علم محدود لا يفقه

السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾، [سورة الرعد الآية: ٢]. الموسوعة العلمية في الإعجاز القرآني، تأليف: د. سمير عبد الحليم، ص: (١٢)، بتصرف يسير، نشر: مكتبة الأحباب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م؛ وراجع: رحيق العلم والإيمان، تأليف: د. أحمد فؤاد باشا، ص: (٤٥، ٤٦)، طبعة: دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.

(١) سورة يس، الآيات: (٣٧ – ٤٠).

(٢) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية، ص: (٣٨٩)، بتصرف يسر؛ وراجع: الكتاب الرباني المعجز والعلم الحديث، تأليف: د. عابد توفيق الهاشمي، مراجعة: د. نبيل قصاب باشي، ص: (٤١، ٤٢)، طبعة: دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ٢٠١٧م.

مثل هذا التسبيح، كما أن في حركة كل عنصر من عناصر الكون إفادة للإنسان، لأنها مسخرة لخدمته، ولتسيير سبل حياته على سطح الأرض"(١).

الوجـــه الثانـــي: التـــوازن التام: بمعنى أن كل ما في الكون يتحرك لتحقيق وظائفه حركة دقيقة، لا تتقدم ولو قليلًا ولا تتأخر ولو يسيرًا، إذ لو حدث ارتباك في تلك الحركة – ولو طفيف – فإن هلاك العالم يمسي محققًا لا مرية فيه، وإلى تلك الحركة المتقنة المرتبة يشير قول الله تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾، وقوله:﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾(٢).

"لقد دلت الحسابات أن سرعة حركة الكون تسير في مجال حرج للغاية، فلو تحرك الكون بشكل أبطأ بقليل جدًا عن السرعة الحالية لتوجه إلى الانهيار الداخلي بسبب قوة الجاذبية، ولو كانت السرعة أكثر بقليل عن السرعة الحالية لتشتت الكون وتأثرت مادته، ولو كانت سرعة الانفجار العظيم تختلف عن السرعة الحالية بمقدار جزء من مليار جزء لكان هذا كافيًا للإخلال بالتوازن الضروري، لذا فالانفجار الكبير ليس انفجارًا اعتياديًا، بل عملية محسوبة جيدًا من جميع الأوجه ومنظمة جدًا"(٣).

---

(١) المرجع السابق، ص: (٣٨٩، ٣٩٠)، بتصرف.

(٢) سورة الزمر، الآية: (٥).

(٣) الموسوعة الكونية الكبرى، (١٣٨/٣)، بتصرف يسر؛ وراجع: الإعجاز العلمي في القرآن، تأليف: د. سيد الجميلي، ص: (٢٣)، طبعة: دار ومكتبة الهلال – دار الوسام، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٩٢م؛ **وليس هذا الانضباط والتوازن دأبًا للكون المرصود فحسب**، بل كلما رصد علماء الفلك كوكبًا أو مذنبًا جديدًا وجدوه دائرًا في مدار ثابت لا يبرحه، ويؤدي حركة معلومة لا يغيرها فيصطدم بغيره ولا يعطلها فيصدمه غيره، وكذا كل ما في الكون المنظور وغير المنظور حتى يرث الله الأرض ومن عليها. راجع: أين الإنسان، تأليف: الشيخ/ طنطاوي جوهري، ص: (١٥ – ١٧)، طبعة: مكتبة المعارف بالفجالة، القاهرة، بدون تاريخ؛ **ودوران الكون كله يأتي عكس عقارب الساعة** ومن الملاحظ أن توحيد الدوران لكل الكون ومخلوقاته في اتجاه واحد يمنع الاصطدام واختلال المسيرة، فالكل يدور في فلك واحد وفي اتجاه واحد، ومن الجدير بالذكر أن العلماء أكدوا بأن الدوران مع عقارب الساعة يفقد الإنسان الطاقة، وأن الدوران ضد عقارب الساعة يكسب الإنسان الطاقة، وعلى هذا نستطيع أن نستنتج احتمالًا أن دوران الكون في هذا الاتجاه يكسب الكون الطاقة، إضافة إلى التجانس والتكامل في المسار الواحد. راجع: عظمة

والعظيم في الأمر حفاظ أجزاء الكون على مستوى تباعدها رغم الحركة الدائبة، "ذلك أن بُعد الكواكب السيارة عن الشمس لم يأت اعتباطًا، لأن الكواكب السيارة تبتعد عن الشمس على شكل متوالية حسابية، تبدأ من الصفر ثم مضاعفات الرقم ٣، ويتم جمع المضاعف الناتج مع الرقم ٤ وتقسيم الناتج على ١٠ فيكون الناتج هو مقدار بعد الكوكب عن الشمس بالوحدات الفلكية، والوحدة الفلكية هي وحدة قياس تستخدم في تقدير أبعاد الكواكب السيارة عن بعضها وعن الشمس، وتساوي ١٥٠ مليون كيلو متر تقريبًا، أي متوسط بعد الأرض عن الشمس"[١].

ويفهم من هذا: أن الله تعالى حفظ للكون توازنه بأن أتاح له أن يتحرك حركة دائمة تحمية من تدمير الجاذبية، وفي ذات الوقت تصبح هذه الحركة متوافقة متقنة إلى الحد الذي يحمي الكون من البطء المهلك أو السرعة المدمرة، إنه صنع الله الذي أتقن كل شيء.

ثانياً: التوافق والتوازن في عالم الكائنات:

خلق الله تعالى عالم الكائنات وأودعه كثيرًا من الغرائب والعجائب الدائرة في إطار من التوازن والتوافق المحسوس، ولا زال هذا العالم فياضًا بالمزيد والجديد مما يحني الظهور سجودًا لبارئ الكون، وقد تنوع توازن الكائنات وتوافقها مع نفسها وبيئتها ليشمل الطباع والأعداد والغذاء والتعاون مع الغير ونحو ذلك مما أوضحه فيما يلي:

(١) التوازن الطبعي: طبعت الكائنات على خلال ما كانت لتصدر منها عشوائية من غير فطرة مودعة وتسخير من حكيم خبير، ومن أهم هذه الخلال:

(أ) التكيُّف: فالتطبيع مع البيئة فطرة جبلت عليها الكائنات قاطبة كلٌ بحسب حاله، وعلى سبيل المثال "فالحشرات أكثر الكائنات تأقلمًا، فتجدها في الصحراء الجرداء التي يشتد فيها الجفاف قد غطت أجسامها طبقة شمعية تمنع تبخر الماء من أنسجتها، وجهازها الهضمي مزود بغدد تستطيع امتصاص الماء

القرآن في المجال الفلكي رؤية جديدة، تأليف: محمد ناصف، ص: (١٩)، نشر: دار إم آر للنشر للعلوم والفنون، أمريكا، الطبعة الأولى، ١٤٣٨هـ، ٢٠١٨م.

(١) راجع: الموسوعة الكونية الحديثة قصة نشأة الكون، تأليف الفلكي: عماد مجاهد، ص: (١٤٢ – ١٤٣)، دار الخليج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٢٠م.

الناتج من عمليات التمثيل الغذائي، فتستطيع الاحتفاظ بنسبة الرطوبة اللازمة لحياتها وتطورها، وهي تستطيع أن تتطور من شكل لآخر حتى يتحقق التنوع في الغذاء فلا يكون عليه تنافس بينها، وقد تلجأ الحشرات غير المجنحة إلى تكوين أجنحة وتصير مجنحة إذا ضاقت بها الحياة بسبب ظروف بيئية معينة كأن يقل الغذاء أو تزداد أعدادها فيحدث تنافس على الغذاء؛ والبيات الشتوي والبيات الصيفي وسيلتان من وسائل التأقلم مع البيئة"(١).

(ب) الحياة في جماعات: وقد جُبِلت على ذلك لتتحاشى الضعف المهلك أو الوحدة القاتلة، فالقوة دومًا في الاتحاد ولزوم الصف، "وهذا في كل الكائنات كالأسماك والزواحف والحشرات، وكذلك الطيور بصفة خاصة، ولقد درس العلماء سلوك الحيوانات فاكتشفوا وجود جماعات حقيقية كما أنه يوجد أكثر من ٢ مليون فصيلة من فصائل الحيوانات، كما تعيش الحشرات في جماعات، وأكبر دليل على ذلك جماعات النحل، وقد اكتشف أحد العلماء أن النحل يملك وسيلة للتخاطب عن طريق الرقص كتعبير لإرشاد زملائه إلى مكان الزهور، إن لكل أمة من هذه الأمم أرزاق وطبيعة في الحياة مختلفة عن غيرها من الأمم الأخرى، وبالرغم من ذلك فإن هذه الأمم تعيش مع بعضها البعض دون أن تطغي أمة على أخرى(٢).

وعدم الطغيان هذا عين التوافق والتوازن، فلو انعدم لاستحالت أعداد الكائنات وفصائله إلى أخطار مدمرة تؤدي إلى خراب العمران وانهيار البيئة، لهذا كان التوازن الطبعي في الكائنات من لطيف آثار رحمة الله.

---

(١) من عجائب الخلق في عالم الحشرات، تأليف: محمد إسماعيل الجاويش، ص: (١٠٨ – ١٠٩)، بتصرف، طبعة: الدار الذهبية، القاهرة، ٢٠٠٦م.

(٢) الموسوعة العلمية في الإعجاز القرآني، ص: (١١٩)، بتصرف؛ **وبحسب علم الحيوان يتم تقسيم هذا العدد الضخم من الحيوانات المعروفة إلى مجموعات كبيرة** تتشابه في صفاتها الرئيسة ويطلق عليها اسم الشعب، وتضم الشعبة الواحدة عدة «طوائف»، وتحتوي كل طائفة على مجموعة من «الرتب»، وتنقسم الرتبة الواحدة إلى عدة «فصائل»، والفصيلة تشتمل على عدة «أجناس»، والجنس على عدة «أنواع»، وطبقا لهذا النظام التصنيفي نجد أن عالم الحيوان يحتوي على ست طبقات أساسية تتدرج من الأدنى إلى الأعلى كما يلي: النوع – الجنس – الفصيلة – الرتبة – الطائفة – الشعبة . الموسوعة الكونية الكبرى، (١٠١/١١).

(٢) التــوازن العــددي: في الكون أعداد مرعبة من الكائنات المختلفة ففصائل الحيوانات أكثر من مليوني فصيلة، وكذلك الطيور، "وعدد الحشرات رقم يفوق الخيال إذ يبلغ نحو بليون بليون حشرة، وإذا ما قدرنا متوسط كل حشرة منها بـ ٢,٥ مليجرام نجد أن وزن سكان الأرض من الحشرات يفوق وزن سكان العالم من البشر باثنتي عشرة مرة"(١).

وبقدر محدد أوجد الله تلك الكائنات وبعدد محدد أذن لها أن تعيش، ولو برحت ما قُدِّر لها من عدد زيادة أو نقصًا لتضررت هي والبيئة كلها، فمثلًا "لو أن أعداد الطيور نقصت عما هي عليه لزاد عدد الحشرات والتي بدورها تأكل جميع النباتات والمزروعات فتفنى الحياة على الأرض، ولو نقصت أعداد الأفاعي لزادت أعداد الفئران ولهلكت المزروعات، لذلك فكل أمة لها حجم وعدد محسوب عند الله لكي يبقى التوازن في البقاء مستمرًا"(٢).

(٣) التوازن الغذائي: من أعجب التوازنات في الكون بين الكائنات ما يسمى بالسلسلة الغذائية أو الهرم الغذائي، يعني لكل كائنٍ مفترسٌ، ولكل مفترسٍ مفترسٌ آخر وهكذا، وما من دابة في الأرض إلا ولها رزقها.

"ومن العجب في قسمة الأرزاق أنّ الذّئب يصيد الثّعلب فيأكله، ويصيد الثّعلبُ القنفذَ فيأكله، ويخادع القنفذُ الأفعى فيأكلها وكذلك صنيعه في الحيّات ما لم تعظم الحيّة، والحيّةُ تصيد العصفورَ فتأكله، والعصفورُ يصيد الجرادَ فيأكله، والجرادُ يلتمس فراخَ الزّنابير، والزّنبورُ يصيد النّحلةَ فيأكلها، والنّحلةُ تصيد الذبابةَ

---

(١) من عجائب الخلق في عالم الحشرات، ص: (٩٠).

(٢) الموسوعة العلمية في الإعجاز القرآني، ص: (١١٩)، بتصرف؛ **والعلماء يقولون:** لو أن عمر الذبابة كان عدة أعوام بدل عدة أسابيع أو أشهر لزادت أفراد هذه الأمة زيادة تملأ البر والبحر والجو، ولهلكت معها الحياة، فذبابة البيت بعد سبعة أيام من تفقيسها تصير قادرة على الطيران ووضع البيوض، وتبيض أكثر من مئة بيضة في دفعة واحدة، وتبيض مثلها كل عشرة أيام، والذبابة الواحدة تنسل تسعة أجيال في المتوسط، ولو قدر لهذه الذرية كلها أن تعيش وينتشر الذباب في الأرض لغزت هذه الحشرة الأرض وأهلكتها، والذبابة الواحدة تنقل أكثر من ثلاثين نوعًا من جراثيم الأمراض، وتحمل معها ما يقارب من خمسة ملايين جرثومة. راجع: الكون والإنسان بين العلم والقرآن، تأليف: بسام دفضع، ص: (٢٢٩)، بتصرف، طبعة: مطبعة الشام، دمشق، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.

فتأكلها، والذبابةُ تصيد البعوضةَ فتأكلها"[١]؛ وهناك نباتات لا تجد غذائها في تربتها فتناله خارجًا عنها حيث تتغذى على الحشرات[٢].

ودورة الغذاء هذه يدخل فيها كل ما على ظهر هذه الحياة من مخلوقات، "فالأوكسجين يستنفذه الأحياء من الهواء فإذا ماتوا وتحولوا بالتعفن إلى ثاني أكسيد الكربون رده الله إلى الهواء مرة أخرى بفعل التمثيل الخضري، والكربون يستنفذه النبات من ثاني أكسيده من الجو، ويتغذى الحيوان بالنبات، ثم يموت النبات فيحرق أو يتعفن ويتحول إلى ثاني أكسيد الكربون فيما يتحول إليه، ويموت الحيوان فيدفن ويتعفن ويتحول إلى ثاني أكسيد الكربون فيما يتحول إليه، ويصعد ثاني أكسيد الكربون في الحالين إلى الجو فيتغذى به النبات مرة أخرى بواسطة التمثيل الخضري، وهكذا دوليك، فعلى النبات مدار حياة الحيوان وحياة الإنسان، لا من حيث المادة فحسب، ولكن من حيث الطاقة التي هي بالفعل وبالحرف أهم من المادة، ومدار النبات في مادته وطاقته على التمثيل الخضري المتوقف على الضوء من ناحية، وعلى نواتج التحلل والتعفن والاحتراق من ناحية أخرى"[٣]؛ وهكذا تتوازن الكائنات راغمة بحيث تنفع وتنتفع دون أن تستقل بالحياة، وأني لها ذلك؟!.

---

(١) الحيوان، للجاحظ، (٤٧٨/٦)، بتصرف يسير؛ **وحينما أراد الإنسان أن يعبث بالتوازن البيئي القائم على السلسلة الغذائية كانت العواقب وخيمة**، "فحينما نزل المهاجرون الأولون إلى أستراليا لم يكن في البرية ثدييات تذكر، فاصطحبوا معهم عددًا من الأرانب لتستخدم في الصيد على سبيل الترفيه، فقد كان الصيد عادتهم في أوروبا، ولما لم يكن لهذه الأرانب مفترس في البرية ولم تدخل في قائمة الغذاء لحيوان آخر في المنطقة فقد زاد عددها زيادة كبيرة أثرت على الحشائش والنباتات والأشجار والأراضي الزراعية فأحدثت خللا في البيئة، ورغم مكافحتهم في صيد هذه الأرانب والقضاء عليها إلا أنهم فشلوا في ذلك فشلًا واضحًا". راجع: الله يتجلى في عصر العلم، ص: (٥٥)، بتصرف شديد؛ وراجع: العلم يدعو إلى الإيمان، ص: (١١٣، ١١٤).

(٢) في نبات الديونيا نرى أن ورقتها ذات مصراعين يتحركان على العرق الأوسط، وكل منها مزود بزوائد شوكية على سطحه الأعلى، فإذا وقعت حشرة على النبات يتنبه المصراعان فيقفلان فجأة حافظين الحشرة بينها، ثم يفرز النبات الإنزيمات التي تهضم وتذيب الحشرة ثم يمتص ما يذوب منها، وبعد ذلك تعود الورقة لحالها الأولى فاتحة مصراعيها استعدادا لقنص فريسة أخرى. الله والعلم الحديث، ص: (٨٤)، بتصرف يسير.

(٣) راجع: في سنن الله الكونية، تأليف: د. محمد أحمد الغمراوي، ص: (٢١٧، ٢١٨)، بتصرف، مطبعة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٥٥هـ، ١٩٣٦م.

(٤) التـوازن التعاونـي: وهذا نوع فريد من التوازن والتوافق الخدمي بين الكائنات، فهي مسخرة لغيرها وإن لم تشأ، وخادمة لبيئتها وإن لم تقصد، وما من كائن وإن صغر إلا وله نفع ومنه فائدة.

"إن الحشرات تخدم البيئة بأن تتناول الكائنات الدقيقة والبكتيريا والعفن مما يسهم في تنقية الهواء وصرف الوباء، كما أنها تعمل بوجودها واجتماعها في أماكن معينة على شد انتباه البشر إلى وجود الخطر في الجسد أو المكان طالما هي موجودة، ثم إنها تسهم في عملية التلقيح للزروع[١] تمامًا كالرياح"[٢][٣]؛ "وتسهم أيضًا في حماية الأشجار من دقيق الكائنات التي لو انفردت بها لدمرتها كما تحمي جيوس النمل أشجارًا كالسنط"[٤]؛ وفي هذا حفظ للتوازن البيئي والصحي والزراعي كذلك[٥].

كما أن كثيرًا من الطيور والحيوانات تتغذي على تلك الحشرات مما يساعد على بقاء الكائنات التي تحتاجها البيئة[٦].

ثم إن هناك منافع وخدمات دقيقة تقدمها الكائنات لغيرها تمثل التوازن والتوافق والعفوية في أبدع المظاهر، فعلى سبيل المثال نجد أن "أقوى الفيلة الإفريقية يستطيع أن يصارع الأسود والنمور وسائر الحيوانات المفترسة، ومع

---

(١) **على سبيل المثال:** تقوم فراشات اليوكا بتلقيح نبات اليوكا بطريقة غاية في النظام والانضباط، كما تقوم الزنابير بتلقيح شجر التين، كما تقوم أيضًا بعض أنواع الذباب بتلقيح الأزهار المعينة، راجع: الله يتجلى في عصر العلم، ص: (٥٢ – ٥٤).

(٢) قال تعالى:﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾، [سورة الحجر، الآية: ٢٢].

(٣) راجع: جواهر العلوم، ص: (٣٩ – ٩٧).

(٤) راجع: الجواهر في تفسير القرآن الكريم، (١٥٣/١).

(٥) **ومن أهم الأمثلة على ذلك الحفظ** ما تفعله دودة الأرض فهي العامل الأساس في تهوية التربة بما تحفره فيها من فتحات تساعد جذور النباتات على اختراق الأرض، كما تعمل على تهوية التربة باندفاع الهواء إليها، وهي حين تقوم بطحن التربة يدخل الطين في حويصلاتها ثم تعيده ترابًا خفيفًا هشًّا صالحًا للزراعة، وهي تعمل على تركيز المواد الغذائية في الأرض بما تحلله من أنسجة ويرقات لبعض الحيوانات، وللدود أيضًا غدد كلية تفرز الكالسيوم مع التراب الهش فيكون مفيدًا للنبات. من عجائب الخلق في عالم الحشرات، ص: (١١٦)، بتصرف يسير.

(٦) **مثلًا:** بعض الخنافس المنقطة المعروفة باسم أبي العيد تساعد الإنسان عن طريق فتكها بالمن؛ وبالمثل يخدم نقار الخشب الإنسان بقتله يرقانات خنافس القلف. كيف تكتشف أسرار الطبيعة؟، تأليف: فنسون براون، ص: (٦٢)، ترجمة د. إميل شنودة دميان، نشر: وكالة الصحافة العربية، الجيزة، مصر، ٢٠٢١م.

ذلك تغلبه حشرة اسمها (نيكس) تخترق جلده وتؤذيه فلا يستطيع النجاة منها مهما احتك بالصخور والأشجار، إلا حينما يقف على ظهره طائر أبي قردان فيتغذى على تلك الحشرات ليفيد الفيل ويستفيد هو"[١]، "كما نجد أن السناجب تحفر دون قصد جحورًا في الأرض ليس لها فحسب بل لغيرها من الحيوانات التي تستخدمها للبيات أو التخفي"[٢]، "وما دامت الحيتان الحدباء تدافع عن الفقمات، والنمل والمنٌّ يحافظان على علاقتهما التكافلية، والغزلان تحمل الطيور على ظهورها، ستظل مملكة الحيوان مثالًا ساطعًا على التعاون والإيثار"[٣].

وهكذا يتوازن الكون بتوازن المخلوقات، تلك التي لو انقرض منها نوع واحد تتضرر البيئة بشكل ملحوظ كأن درجة في سُلَّم الاستقرار قد كسرت، لكن تأبى إرادة الله أن يستقر الكون بثبات ما فيه على طبعه وعدده وغذائه وتفاعله مع غيره.

ثالثاً: التوافق والتوازن في الجانب الدعوي:

التوافق والتوازن الدعوي حالة ضرورية متماسكة متلازمة لا عزَّ في الاستغناء عنها، وهي تطال منظومة الدعوة من جهتي الداعية ودعوته، وعلى النحو الآتي أجلّي ذلك:

(١) توافق وتوازن الداعية: إن الداعية الناظر في توازن الكون وتوافقه وما ينجم عن ذلك من معان لا يسعه إلا أن يفقه أنه لا شيء يعينه على النجاح كتوافقه مع دعوته وتوازنه في نفسه وانسجامه مع الجو العام للعمل الدعوي.

والداعية في حاجة إلى هذا التوازن والتوافق لأنه في المقام الأول إنسان، فيه الخير والشر والحسن والقبح وكل الصفات وأضدادها، كما أن له من الاحتياجات والاهتمامات ما قد يتزاحم مع نفسه ويتعارض مع غيره، وهنا يتعين عليه أن يوازن في كل ما سبق على طريقة قول الله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾[٤].

---

(١) راجع: الجواهر في تفسير القرآن، (١٤/٤٨).

(٢) راجع: كيف تكتشف أسرار الطبيعة؟، ص: (٦٢).

(٣) من مقال مترجم بعنوان: كيف تساعد الحيوانات بعضها البعض؟ بتاريخ: ١٦- ٩- ٢٠٢٢م؛ https://www.earthreminder.com/how-do-animals-help-each-other/

(٤) سورة القصص، الآية: (٧٧).

وعلى المستوى العام فقد أحدث الإسلام طفرة فريدة في إحاطة الإنسان بالتعاليم التي تحمي أبعاد شخصيته من جاذبية المعصية وتصونها من شتات الهوى، "وأهم ما يتميز به الإسلام في تعاليمه أنه يأخذ الكائن البشري على ما هو عليه، وإن كان في الوقت ذاته يعمد إلى تهذيب طبيعته إلى آخر مدى مستطاع، دون أن يكبت شيئًا من نوازعه الفطرية، أو يمزقه بين ضغط نوازعه والمثل العليا المرادة له، فالإنسان في نظر الإسلام مشتمل على استعداد للخير كما هو مشتمل على استعداد للشر، وليس أي العنصرين غريبًا عنه ولا مفروضًا عليه، والغاية العليا للإسلام هي إيجاد التوازن في نفس الفرد، فيؤدي ذلك إلى إيجاد التوازن في المجتمع وفي الإنسانية كلها بعد ذلك بقدر ما يكون هذا في حدود الإمكان"(١).

أما على المستوى الخاص فللداعية حساسية خاصة ووضع استثنائي يحتاج إلى وقفة أكثر تفصيلًا، إذ هو مفتقر إلى إقامة شخصيته وكذا ترتيب فهمه على نسق التوازن على النحو الأتي:

(أ) توازن الذات: لكي يصل الداعية بنفسه إلى مراقي التوازن والكمال البشري يلزمه تحسين ظاهره وباطنه أي الالتزام بالتوازن ماديًا ومعنويًا، "فالكمال عزيز، والكامل قليل الوجود، وأول أسباب الكمال: تناسب أعضاء البدن، وحسن صورة الباطن، فصورة البدن تسمى خَلْقًا، وصورة الباطن تسمي خُلُقًا، ودليل كمال صورة البدن: حسن السمت، واستعمال الأدب ودليل صورة الباطن: حسن الطبائع والأخلاق، فالطبائع: العفة، والنزاهة، والأنفة من الجهل، ومباعدة الشره، والأخلاق: الكرم، والإيثار، وستر العيوب، وابتداء المعروف، والحلم عن الجاهل، فمن رزق هذه الأشياء رقَّته إلى الكمال، وظهر عنه أشرف الخلال، وإن نقصت خلة أوجبت النقص"(٢)؛ وجدير بالتنبيه إليه أن هذا الكمال عين التوافق الذاتي للداعية مع الدعوة التي تأمر بكل ما سبق وتنهى عن نقيضه.

---

(١) راجع: سماحة الإسلام، تأليف: د. عمر بن عبد العزيز قريشي، ص: (١٣، ١٤)، بتصرف واختصار شديدين، طبعة: مكتبة الأديب، السعودية – الذهبية للنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الثالثة، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٦م.

(٢) صيد الخاطر، تأليف: جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، (المتوفى: ٥٩٧هـ)، ص: (٣٠١)، عناية: حسن المساحي سويدان، نشر: دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

(ب) توازن الفهم: بالإضافة إلى ما سبق يتعين على الداعية استيعاب أنه كما يمكن للكون كله أن يهلك أو يُدمر إذا اختل توازنه ولو قليلًا، فكذلك الداعية إن انحرف عن جادة الصواب بفقد التوازن، أو مال عن طريق الحق ولو قليلًا بضياع التوافق مع النفس والدعوة، حينها يظهر قصوره، وينكشف أمره، ويضطرب حالة نفسيًا وعمليًا، ويُدْبر الناس عن دعوته بعد أن يسقط من نظرهم للأبد.

(٢) توافق وتوازن الدعوة: لا حاجة إلى جهد كبير في إثبات أن الدعوة المتوازنة في نفسها مضمونًا، المتوافقة مع أحوال المدعوين تبليغًا دعوة نافذة ناجزة لا تخيب ولا تبور، ولا حاجة أيضًا إلى جهد كبير في إثبات أن هذا التوافق والتوازن منطبق تمامًا على دعوة الإسلام تبليغًا وتشريعًا[١]، لكن يبقى أن يحسن دعاة هذا الدين استثمار نقطة القوة هذه؛ واستثمارها يظهر في المستوى الأدائي للداعية حيث يقدم الدعوة كما هي وسطية في ثوب نابذ للصعود فوق التكاليف الشرعية تكلفًا وتشددًا والركود تحتها تسيبًا وتفريطًا، فالوسطية بهذا أظهر لوازم انتهاج التوافق والتوازن في الدعوة.

وقد كان النبي ﷺ يحث على الوسطية في سائر جوانب الحياة ممارسة وعبادة، فعن أنس بن مالك ﷺ، قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ،

---

(١) **قال الشاطبي:** "فإذا نظرت في كلمة شرعية تجدها حاملة على التوسط، فإن رأيت ميلا إلى جهة طرف من الأطراف فذلك في مقابلة واقع أو متوقع في الطرف الآخر، فطرف التشديد – وعامة ما يكون في التخويف والترهيب، والزجر – يؤتى به في مقابلة من غلب عليه الانحلال في الدين، وطرف التخفيف – وعامة ما يكون في الترجية والترغيب والترخيص – يؤتى به في مقابلة من غلب عليه الحرج في التشديد، فإذا لم يكن هذا ولا ذاك رأيت التوسط لائحًا، ومسلك الاعتدال واضحًا، وهو الأصل الذي يرجع إليه والمعقل الذي يلجأ إليه". الموافقات، (٢٨٦/٢)؛ **وقال ابن القيم:** "إن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها؛ فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث؛ فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل؛ وهي العصمة للناس وقوام العالم، وبها يمسك الله السماوات والأرض أن تزولا، فإذا أراد الله سبحانه وتعالى خراب الدنيا وطي العالم رفع إليه ما بقي من رسومها. إعلام الموقعين عن رب العالمين، تأليف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، (المتوفى: ٧٥١هـ)، (٣/ ١١، ١٢)، باختصار، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ، ١٩٩١م.

يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالّوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ؟، قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدًا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا، فجاء رسول الله ﷺ، فقال: **[أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني]**(١).

وعن عبد الله بن عمرو، قال: دخل عليّ رسول الله ﷺ فقال: **[ألم أخبر أنك تقوم الليل وتصوم النهار]** قلت: بلى، قال: **[فلا تفعل، قم ونم، وصم وأفطر، فإن لجسدك عليك حقًا، وإن لعينك عليك حقًا، وإن لزورك عليك حقًا، وإن لزوجك عليك حقًا، وإنك عسى أن يطول بك عمر، وإن من حسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام، فإن بكل حسنة عشر أمثالها، فذلك الدهر كله]** قال: فشدَّدت فشُدِّد عليّ، فقلت: فإني أطيق غير ذلك، قال: **[فصُمْ من كل جمعة ثلاثة أيام]** قال: فشدَّدت فشُدِّد عليّ، قلت: أطيق غير ذلك، قال: **[فصُمْ صوم نبي الله داود]** قلت: وما صوم نبي الله داود؟، قال: **[نصف الدهر]**(٢).

وعن ابن عباس، قال: بينا النبي ﷺ يخطب، إذا هو برجل قائم، فسأل عنه فقالوا: أبو إسرائيل، نذر أن يقوم ولا يقعد، ولا يستظل، ولا يتكلم، ويصوم، فقال النبي ﷺ: **[مُرْه فليتكلم وليستظل وليقعد، وليتم صومه]**(٣).

طرق تحصيل التوافق والتوازن الدعوي: لكي تتحصل المعاني السابقة على نحو سليم يحتاج الداعية عمليًا إلى تصدير الدعوة بمضمونها العظيم وتشريعها الحكيم وأهدافها النبيلة مضمومة بمنظومة كاملة من التوازن تشمل توازن الأفكار، وتوازن الأدوات، وتوازن الفئات المستهدفة في الدعوة، فتوازن الأفكار معناه: طرح سليم منضبط، لا إفراط فيه ولا تفريط، وتوازن الأدوات

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب: النكاح، باب: الترغيب في النكاح، (٧ /٢)، رقم: (٥٠٦٣)، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، شرح وتعليق: محمد زهير بن ناصر الناصر، د. مصطفى ديب البغا، نشر: دار طوق النجاة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب: الأدب، باب: حق الضيف، (٣١/٨)، رقم: (٦١٣٤).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب: الأيمان والنذور، باب: النذر فيما لا يملك وفي معصية، (١٤٣/٨)، رقم: (٦٧٠٤).

معناه: استخدام الأساليب والوسائل المناسبة للزمان والمكان والحال، وتوازن الفئات معناه: تعميم الدعوة على كافة شرائح المجتمع بلا استثناء، فالكل مستهدف بالدعوة إلى الله تعالى ومُرادٌ بالهداية.

المبحث الرابع
العنـــاية والتدبيـــر

من أهم معالم الآيات الكونية مَعْلم العناية والتدبير، إذ هو يمثل مرحلة المتابعة والحماية لكل ما سبق من مراحل، فالشيء بعد أن يُخطط لإيجاده، ويُسوَّى ويتوازن لابد من العناية به كي يستمر في عمله ويواصل المسير إلى أن يشاء الله، والعناية بالآيات الكونية وتدبيرها يقصد بهما: بروز آيات اللطف الرباني والعناية الإلهية في تقنين أعمالها، وضبط وظائفها، وتكثير الانتفاع بها، وتدبير شئونها، وجعلها واحة كبيرة للمنافع والخيرات، وجعل الأصل فيها تقديم أفضل ما يمكن تقديمه للحياة، حتى لا تصير معول هدم ولا أداة دمار، وهذا يتأتى واضحًا في خلق الكون وما فيه، وفيما يلي بيان تلك العناية على مستويي الآفاق والكائنات:

أولًا: العنـــاية والتدبيـــر في الآفـــاق:

في القرآن الكريم عدد غفير من الآيات الكريمة المشيرة إلى العناية الإلهية المدَبِّرة التي جعلت من نظام الكون مادة نفع ووقود حياة، انضم إلى تلك الآيات واقع مشاهد وعلم مجرَّب أكَّدا سويًا على تلك العناية التي من أَجَلِّ أمثلتها ما يلي:

(١) قيام السماوات والأرض بأمـر الله: من مظاهر ستر الله تعالى وعنايته بالكون وما فيه ومن فيه أن طبعه على حالة من الانسجام غير المنفلت والتسلسل غير المنفرط، ودبر حاله ليعمل محفوفًا بحماية إلهية من خطر الهلاك حتى يأتي أمر الله، يشير إلى هذا قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾[١].

قال علماء الفلك: "لو أن نيزكًا من النيازك التي تسبح في السماوات ولا تتجاوز مساحته ١ كيلو متر مربع هوى على الأرض من هذه المسافة الهائلة لكانت قوة تدميره تزيد على مئات القنابل النووية، ولأحدث في الأرض خرابًا تصعب بعده الحياة، فما بالك إذا كان هذا النيزك بحجم ألف كم مربع، فكيف

(١) سورة الروم، الآية: (٢٥).

تكون الحياة بعد سقوطه؟؟؟، ومن هنا تعلم ما معنى أن تقوم السماء والأرض بأمر الله"[١].

(٢) حفظ الأرض من خطر السماء: إن السماوات المرفوعة بغير عماد ظاهر ما كان لها أن تثبت هكذا من غير انطباق على الأرض إلا بعناية دقيقة وتدبير محكم من خالقها ومُسَيِّرها، وقد تمثلت تلك العناية الحافظة للأرض من خطر السماء في مظهرين:

(أ) السقف المحفوظ: في وصف السماء بالسقف المحفوظ قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾[٢].

قال العلماء: "إن الجو الأرضي حاجز حقيقي، هو حقًا قليل الكثافة، ولكنه سميك جدًا، فهو يوقف الأشعة، ويحرق الشهب، إنه يحمي حياتنا الدنيوية، ويحافظ عليها، لأنه لا يسمح إلا لكل ما هو نافع لنا بالوصول إلى سطح الأرض، وهذا مصداق قول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾، لا يسمح جو الهواء للنيازك ولا للشهب ولا للمعادن ولا للأحجار ولا للكويكبات ولا للأشعة القاتلة ولا لكل ما يؤذي الأرض بالاختراق، فالهواء إما أن يحرقه وإما أن يمنعه، فالأوزون يمنع الأشعة القاتلة، ويمتصها، والطبقة الرابعة الحارة تصهر كل شيء"[٣].

ويمكن وصف الغلاف الجوي بالقبة الحامية التي تعمل دون أن تُري، والدرع الصائن الذي يحفظ دون أن يُلحظ، فهو يجنب الأرض كل خطر محتمل، ولولاه لصارت عرضة للاختراق بين الحين والأخر فلا تكون آمنة على المخلوقات ولا صالحة للحياة.

(ب) إمساك السماء أن تقع على الأرض: في معرض الحديث عن رأفته بعباده ولطفه بمخلوقاته قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ

---

(١) الموسوعة الكونية الكبرى، (٢٧٣/٤).

(٢) سورة الأنبياء، الآية: (٣٢).

(٣) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، تأليف: د. محمد راتب النابلسي، (٤/٢)، نشر: دار المكتبي، سورية، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م؛ وراجع: الله والعلم الحديث، ص: (٢٨).

وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[١].

وهنا يظهر أن الأرض ليست محفوظة فقط من خطر النيازك والكويكبات، بل محفوظة من أن تسقط السماء أو جرم من أجرامها أو جسم من أجسامها عليها، وهنا لا يكفي لحمايتها غلاف جوي مهما كانت صلابته، بل هي في حاجة إلى عناية إلهية خاصة تتمثل في ضبط أبعاد تلك الأجرام والأجسام حتى تنضبط في أماكنها بالجاذبية، ومع ذلك فمن الوارد أن تُعطِّل الإرادة الإلهية تلك القوانين الحاكمة ليقع المحظور.

وعلى سبيل المثال: "بُعْد القمر عن الأرض محسوب بدقة شديدة، فنحن نعلم أن المد والجزر يعقبان في البحار بتأثير جاذبية القمر، ولكن بتأثير محدود، لذا ترى الجاذبية تتم كما أراد الله سبحانه وتعالى بهدوء وانسياب.. فمثلًا لو قلَّت المسافة بين الأرض والقمر لزاد ارتفاع مياه البحر لزيادة الجاذبية، عند ذلك تغطي مياه البحر اليابسة وتستحيل الحياة على الأرض. . ولو اقترب أيضًا أكثر من ذلك لجذبته الأرض إليها وارتطم بها، لأن كتلتها أكبر من كتلة القمر ١٠٠/٥٠، فإذا أرتطم القمر بالأرض ومن دون حسابات انتهت الحياة مطلقًا على الأرض وكان دمارًا لا يعلم مداه إلا الله سبحانه وتعالى، فإذا كان على سبيل المثال نيزكًا طوله ١ كم سقط على الأرض وأفلت من الغلاف الجوي لحجمه فإن قوته التدميرية تقدر بأكثر من خمسين قنبلة هيدروجينية فما بالك بالقمر الذي يزيد عن ألف كم، هذا عن القمر.. وهل خروج القمر عن انضباطه وارد...؟ نعم وارد، فقد يحدث انفجار ما قريبًا منه أو في أحد الكواكب أو في مكان في السماء يؤثر على مدار القمر فينخفض أو يرتفع، وما ينطبق على القمر ينطبق على مليارات الاحتمالات الأخرى"[٢].

إذن فلولا عناية الله لبرحت الآيات الكونية – ومنها السماء – مكانها لِتَنْقَضَّ على الأرض، وتتكرر الكوارث التي تودي بالحياة ما بين خسف وقصف وحصب، وقد ذكَّر الله تعالى بتدابير العناية خَلْقَه حتى لا يشردوا عن سبيله

---

(١) سورة الحج، الآية: (٦٥).

(٢) الموسوعة الكونية الكبرى، (٣/ ٢٩٥، ٢٩٦).

ويتبعوا غير سبيل المؤمنين حيث قال: ﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا*أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴾[١]، وقال: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ*أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾[٢]

(٣) حفظ الأرض من الميد: الميد، هو الذهاب والمجيء والاضطراب[٣]، وقد كان من عظيم عناية الله تعالى بالكون عمومًا وبالأرض خصوصًا أن أمَّنها من أن تضطرب أو تتزلزل بشكل دائم، قال تعالى في بيان ذلك: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾[٤]، وقد كان من مظاهر هذا التثبيت ما يلي:

(أ) تعدُّد طبقات الأرض: كما حفظ الله الأرض أن يغشاها خطر من أعلاها، فقد حفظها كذلك أن يباغتها خطر من أسفلها، حيث مدَّها بطبقات عديدة لها من السُّمْك والمتانة ما يجعلها مثالية في أداء ما خلقت له، أشار الله تعالى إلى عدد تلك الطبقات في قوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾[٥].

قال العلماء: "إننا نعلم أن الأرض تبعد عن الشمس نحو ٩٣ مليون ميلًا وهي تتألف من عدة طبقات، فالقشرة الخارجية لها تحوي صخور الجرانيت والبازلت، أما ما تحت القشرة فيبلغ سمكها ٦٠ ميلًا، وتوجد طبقة متوسطة سمكها ١٨٠٠ ميلًا – وهي غير مكتشفة بعد –، أما الطبقة المركزية فيبلغ سمكها ٢١٠٠ ميلًا، ويعتقد العلماء أنها مؤلفة من انصهار الحديد والنيكل"[٦].

---

(١) سورة الإسراء، الآيتان: (٦٨، ٦٩).

(٢) سورة الملك، الآيتان: (١٦، ١٧).

(٣) العين، باب الدال والميم، (٨٩/٨).

(٤) سورة غافر، الآية: (٦٤).

(٥) سورة الطلاق، الآية: (١٢).

(٦) الموسوعة الفلكية، تأليف: د. خليل البدوي، ص: (٥٣)، طبعة: دار عالم الثقافة، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م؛ **وهذا عن مجمل طبقات الأرض، وإلا فإن هناك طبقات فرعية تندرج تحت الطبقات المذكورة ليكون مجمل ما وصل العلم إليه من معرفة طبقات الأرض حتى نهايات القرن العشرين ما يلي:**

١ – الطبقة الغازية: وهي الهواء المحيط في الأرض.

(ب) تعدد صدوع الأرض: مع ذلك التماسك العجيب والثبات الرهيب فإن للأرض صدوعًا وفجاجًا تُخرج النبات والأشجار وفائض الضغط والطاقة، أشار الله إليها بقوله: ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾(١).

"وتلك الصدوع رئة التنفس للأرض، ووسيلة تفريغ الطاقة الحرارية المختزنة والمتجددة في باطن الأرض نتاج العمليات الزلزالية، ويرى العلماء أن ظاهرة الصدوع والشقوق تحول دون انفجار الأرض، حيث إن الطاقة المتولدة من حدوث زلزال متوسط قوته ٦ –٧ درجات بمقياس ريختر تعادل الطاقة التي تطلقها مئات القابل الذرية إذا فجرت دفعة واحدة، وعليه فإن الصدوع وتليها البراكين وسائل فعالة في تصريف طاقة الأرض الباطنية، وللصدوع وظائف أخرى من خلالها تتحرك الكتل الأرضية أفقيًا أو رأسيًا على مستوى القشرة الأرضية وعلى مستوى الطبقات التي تقع تحتها، مما يوفر مرونة في حركة الأجزاء المختلفة لصفائح القشرة الأرضية"(٢).

---

٢ – الطبقة المائية: وهي تشمل المياه المالحة، والمياه العذبة، والبحار، والأنهار.

٣– القشرة الأرضية: وتسمى طبقة السيال (SIAL)، وقد اشتق اسمها من الحرفين الأولين لكل من مادة السيليسيوم والألومنيوم، العنصرين الأكثر انتشارًا فيها.

٤– طبقة الرواء أو الغلاف أو اللُّب: وتسمى (السيما) (SimA) وقد اشتقت سماكتها من العنصرين الرئيسين فيها، وهما السيلسيوم والمغنسيوم، وتبلغ سماكتها (٢٨٥٠) كم.

٥– طبقة (السيا الحديدية): وهي من الحديد.

٦ – طبقة النيفا (NIFE): وعنصراها من الحديد والنيكل.

٧ – النواة المركزية: وتقسم إلى نواة داخلية جامدة (صلبة)، ونواة خارجية صلبة. راجع: براهين على أن الإسلام هو الحقيقة التي يبحثون عنها "الإسلام وحقائق العلم"، تأليف: محمود عبد الرحيم قاسم، ص:(٣٠ – ٣٢)، (٦٩ – ٧٢)، طبعة: دار البشير، عمان، الأردن، الطبعة الرابعة، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م؛ وراجع: الموسوعة الكونية الكبرى، (١٩٩/٥)؛ وراجع: الأرض "سلسلة ومضات إعجازية من القرآن والسنة النبوية"، تأليف: د. خالد فايق العبيدي، ص: (٩ – ٢٠)، طبعة: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠١٠م.

(١) سورة الطارق، الآية: (١٢).

(٢) راجع: المدخل إلى الجغرافيا الطبيعية، تأليف: د. الفرحان يحيى، د. حسن أبو سمور، محمد خلف، ص: (١٤٤)، بتصرف، طبعة: جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م؛ وراجع: الظواهر الفلكية والجغرافية في القرآن الكريم، تأليف: د. عطية محمد عطية، ص: (٣٦٦)، طبعة: دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ، ٢٠١٢م.

ومما سبق يستنبط أن حفظ الله للأرض تمثل في حفظها من الخارج بالحفاظ على مسافات التباعد بين الكواكب والأجسام فوقها وعلى مستوى الجاذبية كذلك، وحفظها من الداخل بطبقات سميكة أسفلها، تتخللها صدوع تسمح لضغط الطاقة الكائن من البراكين والزلازل أن يتصرَّف وكأن الأرض تتنفس، فهي بهذا محفوظة بإذن خالقها من فوقها ومن تحتها.

(٤) حفظ البحار من الفيضان: لقد حفظ الله تعالى مياه البحار والمحيطات من الفيضان على اليابسة، رغم أن حجم اليابسة لا يقارن بحجم الماء على سطح الأرض، ومع ذلك فهي محفوظة بقوانين الجاذبية، وكذلك قوانين التضاريس وطبيعة القشرة الأرضية، بل وطبيعة مياه البحار نفسها، "ولولا إمساك الرب تبارك وتعالى لها بقدرته ومشيئته وحبسه الماء لطفح على الأرض وعلاها كلها، هذا طبع الماء، ولهذا حار عقلاء الطبائعيين في سبب بروز هذا الجزء من الأرض، مع اقتضاء طبيعة الماء للعلو عليه وأن يغمره، ولم يجدوا ما يحيلون عليه ذلك إلا الاعتراف بالعناية الأزلية والحكمة الإلهية التي اقتضت ذلك ليعيش الحيوان الأرضي في الأرض، وهذا حق، ولكنه يوجب الاعتراف بقدرة الله وإرادته ومشيئته، وعلمه وحكمته، وصفات كماله، ولا محيص عنه"[(١)].

(٥) حفظ الماء العذب من النفاد: بحسب توزيع الغلاف المائي فإن كمية الماء العذب – ومكانها الأنهار وبعض البحيرات – أقل بكثير من كمية الماء المالح – ومكانها البحار والمحيطات وبعض البحيرات –، وبما أن الغلاف المائي على مستوى الكرة الأرضية متصل ببعضه فالمنطق يقول إن مياه البحار والمحيطات المالحة تبتلع مياه الأنهار بداية من نقطة الاتصال بينهما، لكن شيئًا من هذا لا يحدث، لأن الله تعالى جعل لكل ماء منهما خواصه وثقله وشحناته السالبة والموجبة، فبدا كل ماء منهما على قرب الشكل جسدًا مختلفًا عن الآخر، يحفه حدٌّ ملحوظ لكن لا تعرف طبيعته وتركيبته على وجه اليقين، وفي هذا قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِى مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾[(٢)].

---

(١) مفتاح دار السعادة، (٢/٥٨٠، ٥٨١)، بتصرف يسير.

(٢) سورة الفرقان، الآية: (٥٣).

"ولو أن نهرًا عذبًا صُبَّ في بحر أجاج لسار عشرات، بل مئات الكيلو مترات وبقي عذبًا، لأن بين البحرين برزخًا ما زالت طبيعته مجهولة حتى الآن"(١)؛ ومهما يكن من أحداث فسوف يظل هذا الحاجز موجودًا يحمي الله به الماء العذب من النفاد حتى يأتي أمره سبحانه؛ وليس هذا كل شيء، بل إن مياه البحار والمحيطات الأجاج نفسها تتبخر بفعل الحرارة صاعدة إلى السماء ثم تنزل مقطرة مصفاة عذبة(٢)، لتظل تدابير العناية تُجدِّد الماء العذب وتحمي البشرية من خطر زوال وقود الحياة.

(٦) حفظ الزمن من الاختلال: من عظيم العناية الإلهية أنه سبحانه جعل الليل والنهار متواليين على مصالح العباد، فالليل سكن وسُبَات وراحة، والنهار نشاط ومعاش ودَأَبٌ، لا غنى للموجودات عن أحدهما ولا كليهما، وفي وجودهما بالقدر الزمني والشكل والترتيب المعهود فضل من صاحب الفضل يحفظ به التوازن لكل مخلوق يشهد تعاقبهما، لكن ماذا لو تبدل التعاقب إلى استمرار فصار أحدهما سرمدًا؟، لا ريب أن العاقبة تصل إلى هلاك المخلوقات في أقرب مدى، لهذا ذكَّر الله بفضله في العناية بالزمن وحفظه من الاختلال فقال:﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾(٣).

"فهل يمكن أن يكون الليل سرمدًا دائما وتقف حركة الأرض، أو يذهب الله بالشمس وتستمر الحياة على الأرض؟ .. تقول الآية: إنه يمكن ذلك إذا أراد الله سبحانه، فتوَقُّفُ حركة الأرض ممكن ويخلق الله لها قانونًا آخر، أو تذهب الشمس إلى مدار آخر فيعم الظلام نصفي الكرة الأرضية، وليس نصفها الأول

---

(١) الموسوعة الكونية الكبرى، (٢٢٦/٨)؛ وقد اكتشف العلماء في القرن المنصرم ظاهرة اختلاف الماء في البحر الواحد، في مساحات كبيرة في الماء، وبعد التحليل المتطور وجدوا أن جزئيات الماء تفككت مكوناتها إلى ذراتها الحاملة للشحنات الموجبة والسالبة بسبب تأمين الأملاح، وأن هذه الشحنات تقف على حواف قدر من الماء للتنافر مع شحنات متشابهة من الماء المجاور، وتجعل من هذا الحاجز الذي لا يرى مانعًا حقيقيًا يحول دون اختلاطه وامتزاجه كاملًا مع جاره. الكتاب الرباني المعجز والعلم الحديث، ص: (١١٥)، بتصرف.

(٢) للتوسع في هذه النقطة راجع: في سنن الله الكونية، ص: (١٧١، ١٧٢).

(٣) سورة القصص الآيتان: (٧١، ٧٢).

فحسب، فيتوقف دوران الأرض وتبقى الشمس حيث تشرق على نصفها ويبقى نصفها الآخر مظلمًا"[١].

وما من شيء يحجب ذلك عن الحدوث إلا تدابير العناية الإلهية التي تحفظ للأيام شكلها وتوازنها ما بين ليل يهدئه السكون ونهار تملؤه الحركة.

ثانياً: العناية والتدبير في الكائنات:

يجد المتأمل في حياة الكائنات – لا سيما الدارسون والمتخصصون – كثيرًا من مَدد العناية الإلهية لتلك الكائنات بقوى وملكات وإدراك وقدرات خاصة تقوّيها على مواصلة الحياة ومواجهة الأخطار، لتستطيع مَدَّ البيئة بما سخرت له من النفع، ومن أهم مظاهر تلك العناية ما يلي:

(١) حفظ حياة المخلوقات: يسر الله كل مخلوق – وإن دقَّ وصغر – لما خُلق له، مهما كانت بيئته وظروفه، وزوَّده بما من شأنه أن يحفظ حياته ويصون نوعه، عن طريق الوسائل المناسبة له.

ففي عالم الحشرات مثلًا نجد أنه "من عظيم ما أمد الله به الحشرات كي تقوى على الحياة أنها خلقت صغيرة الحجم لتستطيع أن تعيش في مأمن من الموت الذي يهددها، ومنها قدرتها على التكاثر السريع فلا تنقرض إذا أفنى الخطر الكثير، ذلك أن إناث الحشرات قادرة على وضع آلاف البيض الذي يفقس وينشأ عنه آلاف الحشرات، لا سيما الإناث القادرة على وضع البيض في مدى قصير، ومنها قدرتها على التكيف السريع ومسايرتها للظروف المحيطة بها حتى مع السموم والمبيدات، حيث تستطيع معادلة المواد الضارة التي تدخل أجسامها وإبطال مفعولها، ولهذا لم يستطع الإنسان إبادة نوع واحد من الحشرات رغم كل المحاولات، ومنها ما تتميز به من عزيمة وإصرار ومثابرة، ولنا في النمل خير مثال ودليل، حتى أن العرب ضربت المثال على ذلك فقالت: «أقوى من نملة»، ومنها هيكلها القوي الخفيف الوزن فتقاوم أثر القلويات والحمضيات والمذيبات كما تستطيع أن تتلقى الصدمات فإذا أسقطت من أماكن مرتفعة لا يلحقها أذى، ومنها مفصلية أجسامها حيث تتمكن من الحركة السريعة حين تتعرض للخطر"[٢].

---

(١) الموسوعة الكونية الكبرى، (٦/٢٤١، ٢٤٢)، بتصرف.

(٢) من عجائب الخلق في عالم الحشرات، ص: (٩١، ٩٢)، باختصار.

وهذا كله في نوع واحد من المخلوقات، وإلا فبقية الكائنات وسائر المخلوقات شأنها كهذا، ترى فيها آيات الله بادية، لكن المثال الذي مر تفصيله يغني عن الخوض فيما تبقى، ويؤدي مؤداه.

(٢) مد المخلوقات بالغرائز والملكات النافعة: لسائر الكائنات ملكات ومواهب تمثل عناية الله بها في صور إعجازية، وتجعل كل نوع وفصيلة منها عالمًا خاصًا له طرائقه، ولغة عيشه، وأسلوب إدارة حياته في حالتي الأمن والخطر، "فالطيور والحشرات لها غريزة العودة إلى الموطن، حيث تعود إلى مواضعها بعد فصول من العام دون أن تضل الطريق، والحصان يتعرف على الطريق الذي سار فيه قبل ذلك حتى في ظلمة الليل الشديدة، وهو يقدر أن يرى ولو في غير وضوح، ولكنه يلحظ اختلاف درجة الحرارة في الطريق وجانبيه بعينين تأثرتا قليلًا بالأشعة تحت الحمراء التي للطريق، والبومة تستطيع أن تبصر الفأر الدافئ اللطيف وهو يجري على العشب البارد مهما تكن ظلمة الليل، ونحلة العسل لا تجذبها الأزهار الزاهية كما نراها، ولكنها تراها بالضوء فوق البنفسجي الذي يجعلها أكثر جمالًا في نظرها، والكلب بما أوتي من أنف فضولي يستطيع أن يحس الحيوان الذي مر، وكل الحيوانات تسمع الأصوات التي يكون كثير منها خارج دائرة الاهتزازات الخاصة بنا، وذلك بدقة تفوق كثيرًا حاسة السمع المحدودة عندنا، وسمك السلمون الصغير يمضي سنوات في البحر ثم يعود إلى نهره الخاص به، والأكثر من ذلك أنه يصعد جانب النهر الذي يصب عنده النهر الذي ولد فيه، وسرطان البحر إذا فقد مخلبًا عرف أن جزءًا من جسمه قد ضاع فسارع إلى تعويضه بإعادة تنشيط الخلايا وعوامل الوراثة ومتى تم ذلك كف الخلايا عن العمل، وكثير الأرجل المائي – الحشرات ذوات الأرجل المتعددة التي تعيش في البيئات الرطبة أو المائية – إذا انقسم إلى قسمين استطاع أن يصلح نفسه عن طريق أحد هذين النصفين، وأنت إذا قطعت رأس دودة الطُّعْم تسارع إلى صنع رأس بدلًا منه"[١].

(١) راجع: العلم يدعو للإيمان، ص: (٧٩ – ٨٨)؛ وراجع: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة المطهرة، ص: (٤٧٠ – ٤٧٣).

"وهناك أسماك تستطيع التنبؤ بالزلازل، وقد استخدم اليابانيون هذا النوع في أحواض في البيوت ليمكنهم من خلاله معرفة حدوث الزلازل قبلها، وقد كانت النتائج مبهرة"(١).

"وفي عالم النبات نجد العجب، حيث نجد نباتات تملك عاطفة المجاورة لغيرها، ونباتات أخرى تموت إن جاورت غيرها، ونباتات تُسَر وتحزن، ونباتات تتقي الأعداء والمخاطر، ونباتات قادرة على نثر بذورها في الهواء فتطير لتستقر في أماكن محددة ثم تنمو بعدها، ونباتات تخاطب بعضها بلغة خاصة في حالات الخطر، ونباتات تضيء، ونباتات تحس، ونباتات تفرح، وغير ذلك من العجائب المثبتة علميًا ولا زال الكثير مجهولًا"(٢).

ويوميًا تسفر الكشوف العلمية عن جديد تم رصده من الأسرار في هذا المجال، الشيء الذي يحمل دلالات واضحة على عظيم لطف الله بالمخلوقات وكريم عنايته بها.

(٣) تحصين المخلوقات بالنظام المجتمعي: لأن الحياة في مجتمعات هي فطرة الله التي فطر الكائنات عليها، فإننا نجد كل مخلوق منتسبًا إلى أمة يستمد منها الحماية والتفاعل والقوة والنظام، فالقوة في الوحدة، والهالكة في الكائنات ما كانت شريدة قاصية.

لهذا نجد أن "كل الحيوانات والطيور التي تسير في هيئة جماعات تتخذ من بعض أفرادها خفراء يحرسونها وأدلة يكشفون الطريق لها، ولا يكون هذا عن مصادفة بل يكون عن قصد وتدبير، فإن الفيلة في الغابات لا تسير فرادى إطلاقًا، اللهم إلا ما حُكم عليه بالشرود، وجماعة الفيلة يتقدمها دليلها إلى الماء أو الغذاء، وأسراب الطيور في سيرها يحرسها أكبر ذكورها، ويسير ضعافها في مؤخرتها، بينما الظباء تسير حراسها في الخلف؛ لأن الذئب – وهو أخطر أعدائها – لا يهاجم القطيع إلا من خلفه، وتظهر قافلة الاستكشاف واضحة في

(١) راجع: من عجائب الخلق في عالم الأسماك، تأليف: محمد إسماعيل الجاويش، ص: (٦٧)، طبعة: الدار الذهبية للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، عام ٢٠١٢م، وراجع أيضًا: ص: (٨٦ – ٩٦) من نفس الكتاب.

(٢) راجع: من عجائب الخلق في عالم النبات، تأليف: محمد إسماعيل الجاويش، ص: (٩٨ – ١٢٩)، طبعة: الدار الذهبية القاهرة، عام ٢٠١٢م.

أسراب الجراد حيث يسير في المقدمة بضعة أفراد لاكتشاف الطريق، وتكون هذه المجموعة المحدودة إنذارًا بسرب هائل قد يغطى ما مساحته ٢٠٠٠ ميلًا مربعًا، أما الجاموس الوحشي الإفريقي فمن عادته أن يقبع حارسه على أعلى بقعة في الغابة ليشرف على مشارف الطرق ومسالكها، بينما تعمد القنادس[١] إلى تعيين حراس يخفرون الجهات الأربع نظرًا لأنها تحدث ضجة كبرى في أي مكان تحل به عندما تقوم بقطع أغصان الأشجار وأوراقها"[٢].

وهذه الأنظمة المجتمعية في عالم الكائنات يستحيل وصفها بالمكتسبة أو المتوارثة، ذلك أن كل الكائنات تندمج دون تَعَلُّم أو إعداد، بل تولد وفيها فطرة تحمل الكثير من التفاصيل الإعجازية، وما كان هذا كله إلا من تدبير الخالق صاحب المدد، الذي سخرها للحياة وغذَّاها بمقومات البقاء والحماية والتفاعل.

العنـــاية والتدبيـــر فـــي الجانب الدعـــوي:

يستقر في ذهن الدعاة إلى الله تعالى مِن تَدَبُّر آيات العناية الإلهية بالكون وتدبير أمره أنه لا يكفيك أن تخطط لأمر ما وأن تتقن دراسته وأن تنفذه، ثم لا تردف بحمايته من المخاطر، فتتركه يتولى نفسه وتكتفي بدور المشاهد غير عابئ بالنتائج أو النهايات.

إن الداعية الزكي النفس الذكي التفكير هو الذي لا يهمل دعوته ولا يستظهرها حتى تذبل أو تتآكل، بل يمدها بوقود الحماسة والمتابعة والدفاع عنها وحمايتها من شرور الشبهات والمخاطر والعداءات.

أما الداعية الذي يرتضي ضربة البداية، ثم ينصرف عن العناية بالنهاية فهو كمن اجتهد في جمع مال كثير، ثم نثره على قارعة الطريق وحيدًا فريدًا، ينتظر منه أن يحمي نفسه بنفسه، فلا المال يبقى، ولا سارقه يشفق على صاحبه، ولا الناس يحترمون جامِعَه، إذ تركه عرضة للنهب أو الضياع.

---

(١) **القُنْدُس**: حيوان قارض من الفصيلة القندسية، كث الفراء له ذنب قوي مفلطح وغشاء بين أصابع رجليه يستعين به على السباحة، يستوطن أوروبا وأمريكا الشمالية. المعجم الوسيط، باب القاف، (٧٦٢/٢).

(٢) رحيق العلم والإيمان، ص: (١٥٨)، بتصرف يسير.

وبهذا فليس هناك ما هو أفضل وأهم من الحفاظ على الدعوة والعناية بها، وحيث إن باب العناية بالدعوة كبير، والحديث عنه جد خطير، فإنني أنظم تلك المسألة في البنود التالية.

(١) العناية بالدعـــاة: والعناية بالدعاة يقصد بها صف الهداة إلى الله تعالى أفرادًا وجماعات، فهم الأدلة إلى الجسور والحماة على الثغور، والعناية بهم خطوة لا تُسبق بغيرها.

"وقد أوجب الله على الأمة أن تهيئ من بينها طائفة لتقوم بالدعوة إلى دين الله، والتهيئة ليست أمرًا هينًا، وليست سريعة الإيجاد، ولكنها تحتاج لإمكانيات مكثفة ومتنوعة، ذلك أن صناعة الإنسان هي أصعب الصناعات في هذا الوجود"(١).

"والداعية في حاجة إلى عناية ذاتية تنطلق من بيئة قوية تسانده وشخصية متزنة تساعده، ثم حري به أن يشتغل على نفسه مبكرًا وأن يستنشق عبير العلم استنشاقًا مكثفًا، وأن يسارع إلى التدريب ومعايشة الواقع والاحتكاك به، ليثمر هذا الجهد عن صفات ذاتية مثل: سعة الأفق، وسرعة البديهة، وقوة التركيز، والتفاؤل، وصفات إيمانية مثل: التوحيد الخالص، والاقتداء المطلق بالنبي ﷺ، وصفات إنسانية مثل: الصدق، والأمانة، وتقدير الناس، والحلم، والصفح، والتواضع، وصفات عملية مثل: المشاركة الوجدانية، والكرم والسخاء"(٢).

وباختصار يمكن اعتبار إعداد الداعية لبنة البناء الأولى في صرح العناية به، ويتمم ذلك البناء المراقبةُ من المؤسسات المعنية، والدعمُ الشامل المتنوع، وتوفيرُ الوسائل والأجواء، والارتقاءُ العام بشخصه ومكانته، ونحو ذلك مما يجعل نجاحه في رسالته حتميًا لا مرية فيه.

(٢) العناية بالدعـــوة: أما عن العناية بالدعوة فهي مسألة يشترك في مسؤوليتها الدعاة من جهة والمؤسسات المختصة من جهة أخرى، وإن كانت مسؤولية المؤسسات أوسع، فمسؤولية الدعاة أوقع، ذلك أنهم أهل الاحتكاك والواقفون على أرض الواقع، ومن أهم مظاهر العناية بالدعوة ما يلي:

---

(١) الدعوة الإسلامية أصولها – وسائلها – أساليبها في القرآن الكريم، تأليف: د. أحمد أحمد غلوش، ص: (٤٥٦)، طبعة: الشركة الدولية للطباعة، القاهرة، ٢٠٠٥م.

(٢) راجع: المرجع السابق، ص: (٤٨٢– ٥٣١).

(أ) حسن اختيار الزمان والمكان والمحتوى والداعي: من بدهيات النجاح في المهام عمومًا والدعوة إلى الله خصوصًا أن يُختار للمضمون الدعوى المناخ الكامل للنجاح، يشمل المناسب من الزمان والمكان والداعي وطبيعة المحتوى ومقداره والمناهج والأساليب والوسائل، وكافة ما يحقق معنى العناية بالدعوة، "ولقد كان من عظيم عناية الله بالدعوة الخاتمة أن هيأ لها المكان الملائم (مكة) التي يستحيل أن تجتمع ظروفها في بيئة أخرى، من كونها وسطًا ومحصَّنة ودافعة بنبيها إلى الهجرة والأمل وتكوين نزعة دينية وإحساس قوي أفاد الدعوة تمامًا، واختار لها الزمان حيث كان القرن السابع الميلادي ساحة للصراع من ناحية وبيئة خصبة للنضج الفكري من ناحية أخرى، واختار لها الأمة المناسبة حيث العشائر والقبائل، والشجاعة والمروءة، والإنسانية وعراقة الأصل، والقوة والبعد عن الترف، واختار لها النبي المناسب محمدًا ﷺ حيث النسب الأشرف والخلق الأتم والسمات المثلى"(١).

وقد قام النبي ﷺ بالعمل الدعوي على الوجه الأسمى، وقدم منظومة من المناهج والأساليب والوسائل والغايات المتحققة ما رفع دعوته في الآفاق، وكسر بدويّها صمت الضَّلَال، ونكَّس بشموخها هامات الضُلَّال.

(ب) براعة التوفيق بين المرتكز والمرتجى: وهذه البراعة عزَّ أن تستغني عن استخدام التدرج نهجًا سلسًا ينقل الدعوة من بداية مُتَحدِّية إلى غاية متجَلِّية، والتدرج سُنَّة كونية وفطرة بشرية، إذ الحصول على الأشياء أو حصول الأشياء دفعة واحدة مما لا يجيزه طبع ولا تمرره فطرة، فقد "كان عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز يقول لأبيه: أنْفِذ الحقَّ وإن جاشت بي وبك القُدور، فقال: يا بني لا تَعجَل؛ فإن الله ذَمَّ الخمر في القرآن مَرَّتَين ثم حرَّمها في الثالثة، وإني أخاف أن أحملهم على الحقّ جُملة فيَدفعوه وتكون فتنة، فقال: دع عنك هذا، أقم الحقَّ ولو غَلَت بنا المَراجِل"(٢).

---

(١) راجع: الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، ص: (٧٤ – ١٢٦).

(٢) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تأليف: شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قِزْأُوغلي بن عبد الله المعروف بـ«سبط ابن الجوزي»، (٥٨١ – ٦٥٤ هـ)، (٢٢٩/١٠)، بتصرف يسير، تحقيق: محمد رضوان عرقسوسي، عمار ريحاوي، نشر: دار الرسالة العالمية، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م.

فرغم أن الحماسة للحق دفعت عبد الملك إلى الإصرار على رأيه في إنفاذ الحق أيًا كان وخم العواقب، إلا أن حكمة التجربة وفلسفة القيادة حركت ذهن أبيه جهة الأناة في مواجهة التحّجُّر، والتعقل في مجابهة الفساد المتعمق، وهو سلوك تدعمه البصيرة، لذا عزَّ أن يفقد هذا الاتجاه بوصلة الخير.

(جـ) القدرة على التنبؤ واستشراف المستقبل(١)(٢): وهذا لا يكون إلا نتيجة إحساس عميق وانشغال دائم وتفكير مستمر بشأن الدعوة، يستطيع الداعي إلى الله تعالى أن يستشف به ما تصير إليه الأمور، وهذا كثير في دعوة النبي ﷺ، فعن خباب بن الأرت، قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ، وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، قلنا له: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو الله لنا؟، قال: **[كان الرجل فيمن قبلكم يُحفر له في الأرض، فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون]**"(٣).

والقدرة على التنبؤ واستشراف المستقبل على شاكلة النبوة تضع ثقة الداعية في انتصار الدعوة في أعلى مستوياتها، بل تجعله يوقن أن اليسر من رحم العسر يخرج، وأن الضيق بشير فرج، وما أيام المعاناة إلا خطوات تقرب الخير الذي يظنه الناس بعيدًا ويراه الداعية قريبًا.

---

(١) **هناك فروق مستنبطة بين فقه المآلات وفقه استشراف المستقبل أظهرها لديَّ**: أن فقه المآلات فحواه استيعاب توابع الأعمال وآثار التصرفات ودراسة النتائج الفورية لكل فعل، أما فقه استشراف المستقبل فمعناه استبصار الغاية العامة للمنهج ومدى احتمالية حدوثها، وحشد الوسائل المُحقِّقَة لها، ما يعني أن فقه المآلات داخل بالضرورة في فقه استشراف المستقبل، وأن فقه استشراف المستقبل مبني في مجمله على فقه المآلات.

(٢) للمزيد حول هذه النقطة راجع: الإسلام واستشراف المستقبل بحث في أهمية الاستشراف المستقبلي وأولويته في الشريعة الإسلامية، د. عبد الرحمن بن ناصر الريس، حولية كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة، العدد الحادي والعشرون، المجلد ٢١، عام: ٢٠٢٤م.

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب: المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، (٢٠١/٤)، رقم: (٣٦١٢).

(٣) العناية بالمدعوين: العناية بالمدعوين أمر لا يُستدرك على داعية اعتنى بنفسه ودعوته، إذ لا يتخيل من داعية قطع من النجاح ثلثي أشواطه أن تطيش منه خواتيم غاياته، لذا كان حريًا بالدعاة النجباء أن يقدموا لمدعويهم درجات راقية من العناية والاهتمام، تتمثل في أشياء كثيرة يضيق المقام عن الوفاء بها، لكن أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

(أ) تنويع شرائح المدعوين: وذلك بالوصول إلى قطاعاتهم المختلفة، مما يجعل التبليغ أكثر تكاملًا وأوثق تعاملًا وأكبر شعبية، وهذا التنويع مما بُدئت به دعوة رسول الله ﷺ، "فقد قيل: أول من أسلم من الرجال: أبو بكر، ومن الصبيان: علي، ومن النساء: خديجة، ومن الموالي: زيد، ثم أسلم بلال، والزبير، وعثمان، وابن عروة، وسعد، وطلحة"[(١)]، لهذا كانت نواة الدعوة تنمو في كل شريحة وطبقة، وتحقق الانتشار اللائق بها كقضية عادلة حُقَّ لها أن تصل إلى مرساها في أسرع ما يمكن.

(ب) التفاعل الإيجابي مع المدعوين: ومن مظاهره: "السؤال عن مستواهم في التلقي واستيعاب الدعوة، ودراسة أحوالهم ومعرفة أقرب الطرق لكسب عقولهم، وإشراكهم في العمل الدعوي"[(٢)]؛ يعني رفع حالتهم المعنوية باعتبارهم شركاء في تحقيق الهداية، لا مجرد أوعية تتلقى الدعوة بلا تصريف ولا توظيف.

(جـ) الشراكة المجتمعية والوجدانية مع المدعوين: وأبهى صورها: عيادة مريضهم وتعزية مصابهم، ومواساة مكلومهم، وتهنئة مسرورهم، وتفقد غائبهم، وإغاثة ملهوفهم، والدعاء لمنكوبهم، وبهذا يصير الداعية ومضة نافعة يؤمها كل قاصد للخير.

---

(١) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تأليف: جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، (المتوفى: ٥٩٧هـ)، (٣٥٨/٢)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

(٢) راجع: مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، تأليف: د. عبد الكريم بكَّار، ص: (١٢٨)، بتصرف واختصار شديدين، طبعة: دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، بدون تاريخ.

وبهذه العناية يستطيع الداعية أن يقطف ثمار دعوته حالًا بحسن التأثير وطيب الذكر، ومآلًا بتحقيق الهداية وإصلاح ما فسد ومن فسد في مجتمع الدعوة.

الخاتمة

الحمد لله الذي كون الأشياء وأحكامها خلقًا، وفتق السماوات والأرض بعد أن كانتا رتقًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدة لا شريك له، ملك الأشياء كلها رِقًّا، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أكمل البشر خَلْقًا وخُلُقًا.

وبعد،،،،،

فقد كانت هذه المباحث أول قطوف علمية بكَّرت إلى الذهن، إذ انبعث شعاعها في العقل لما تفيأت فصول رسالة الدكتوراة إثر الحصول علي درجتها نهاية العام ٢٠١٧م، لكن سكنت الهمة فور تأصيل العماد ليظل البحث أطلال أفكار، وذلك خشية التكرار، أو مروق القلم قبالة ما كتبت في الباب الأول من رسالتي، وعجزًا عن الوفاء بإجابة كافية عن سؤال طالما جال بالرأس صداه كلما هممت بالعودة إلى الكتابة فيه، ما الإضافة التي يمكن أن تسفر عنها سطور هذا البحث؟، ذلك أن سلخ الأفكار من نظائرها جراحة فكرية قلما استقام مبضعها على المراد، وقد ظللت عاجزًا عن الإجابة غير مهتد لها – لعديد الأسباب – حتى العام الحالي ٢٠٢٥م، حيث شرح الله الصدر وهيأ الدرب بما ظننته إضافة لي ولبحثي بعيدًا عما دونته آنفًا، فقلت: آن لهذا الجهد المتواضع أن يرافق فجرا يُرَقِّيه من عتمة القرار إلى نور الإظهار، ولست في هذا مدعيًا علمًا أو إبداعًا أو جديدًا، لكنه الإخلاصُ المأمول في حسن ترديد ما سبق إليه الأولون، وترتيب ما أفاض فيه السابقون، وتذكيرُ النفس بأن هداية الله وعونه شعلة الطريق وزاد المسير، وما فقدهما باحث أو كاتب إلا عمي عن السداد، وانحرف عن الرشاد، وخط بيده ما يورده الغَيَّ يوم التناد.

ولقد كان من تمام هداية الله وعونه لي – بعد تمام البحث على نحو أرتضيه – حسنُ التوفيق إلى نتائج أرصدها وتوصيات أدونها على النحو الآتي:

أهـــم النتائـج:

(١) ما ذُكِرت في كتاب الله آية كونية لذاتها، فليس هذا من مراد الله، بل ذكرت مقرونة بمعنى يهذب النفس، ويصقل العقل، ويثقل الميزان، ويشد الظهر في طريق الرحلة إلى الهداية.

(٢) صناعة الباحث المُجِد والداعية المُجَدِّد مبدؤها بعد الإخلاص الإلمامُ بالعلوم المساعدة للتخصص، ومن أبرز تلك العلوم الآيات الكونية، التي

تمد مناهج الدعوة الثلاثة الحسي والعاطفي والعقلي بمادة سخية من الأفكار والأدلة، وهي خير ما يرسخ الدعوة في عقل ووجدان كل مدعو.

(٣) كلما جدَّ مخترع علمي جرَّ تطبيقًا دعويًا، فمِدادُ الدعوة من آيات الله في الكون لا يغيض، والإبداع في الدعوة فرض تقتضيه التعاليم ويعين عليه تطور العلوم، وهذا يعني أن تَصَلُّب الدعوة في واحة التكرار والتقليد إن حدث فهو صناعة شخصية لا طبيعة دعوية.

أهـم التوصيـات:

(١) تعميم دراسة الآيات الكونية على كل الكليات الأزهرية النظرية مظنة تخريج الباحثين والدعاة، مع وضع القواعد اللازمة للتعامل دعويًا مع تلك الدراسة بالوصف والتوظيف والاستنتاج ورصد الآثار ونحو ذلك.

(٢) الاهتمام بترجمة المراجع والدراسات الأجنبية المختصة بالآيات الكونية والإعجاز العلمي في الجانب الكوني، للاستفادة من التقدم والتنوع الفكري والثقافي، ومن ثم تصبح الفائدة أوسع وأعم.

(٣) متابعة المستحدث في مجال الآيات الكونية ليصبح الارتكاز عليه في التوظيف الدعوي أصح وأدق وأثمر، مع تنقية المصدر والاعتماد على ما وافق الآيات القرآنية والحقائق الدينية.

والحمد لله أولًا وآخرًا وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ثَبْت المصادر والمراجع باللغة العربيّة:

١- القرآن الكريم.
٢- الأرض "سلسلة ومضات إعجازية من القرآن والسنة النبوية"، د. خالد فايق العبيدي، طبعة: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠١٠م.
٣- أساس البلاغة، للزمخشري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.
٤- الإسلام في عصر العلم، د. محمد أحمد الغمراوي، مطبعة السعادة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٧٣م/ ١٣٩٣هـ.
٥- أين الإنسان، تأليف: الشيخ/ طنطاوي جوهري، طبعة: مكتبة المعارف بالفجالة، القاهرة، بدون تاريخ.
٦- براهين على أن الإسلام هو الحقيقة التي يبحثون عنها "الإسلام وحقائق العلم"، تأليف: محمود عبد الرحيم قاسم، طبعة: دار البشير، عمان، الأردن، الطبعة الرابعة: ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.
٧- التفسير الوسيط، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، نشر: دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
٨- تهذيب اللغة، للأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، نشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.
٩- جمال العالم، للشيخ/ طنطاوي جوهري، مطبعة الجمهور، القاهرة، الطبعة الأولى بدون تاريخ.
١٠- جواهر العلوم، للشيخ/ طنطاوي جوهري، مطبعة الترقي، العتبة، القاهرة، بدون تاريخ.
١١- الجواهر في تفسير القرآن الكريم المشتمل على عجائب بدائع المكنونات وغرائب الآيات الباهرات، تأليف: الشيخ / طنطاوي جوهري، مطبعة: مصطفى البابي الحلبي، محرم سنة ١٣٤٧هـ.
١٢- الحيوان في القرآن الكريم، تأليف: د. زغلول راغب محمد النجار، نشر: مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٣٧هـ، ٢٠١٦م.
١٣- الحيوان، للجاحظ، نشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٢٤هـ.

١٤-الدعوة الإسلامية أصولها – وسائلها – أساليبها في القرآن الكريم، تأليف: د. أحمد أحمد غلوش، طبعة: الشركة الدولية للطباعة، القاهرة، ٢٠٠٥م.
١٥-الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، تأليف: د/ أحمد غلوش طبعة: دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دار الكتب الإسلامية، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
١٦-الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، تأليف الشيخ/ محمد الراوي، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.
١٧-فقه الدعوة، تأليف: د. بسام العموُش، طبعة: دار النفائس، الأردن، الطبعة: الأولى: ١٤٢٥هـ، . ٢٠٠٥م.
١٨-دماغ النباتات، تأليف: د. سعد الله نجم النعيمي، طبعة: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٢١م.
١٩-الدين العالمي ومنهج الدعوة إليه، تأليف الشيخ: عطية صقر، نشر: مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة – جمهورية مصر العربية، عام: ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.
٢٠-رحيق العلم الإيمان، د. أحمد فؤاد باشا، طبعة: دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.
٢١-زهرة التفاسير، لأبي زهرة، نشر دار الفكر العربي، بدون تاريخ.
٢٢-الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطَّار، طبعة: دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة / يناير ١٩٩٠م.
٢٣-صحيح الإمام البخاري، نشر: دار طوق النجاة، بيروت، لبنان، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ، شرح وتعليق: محمد زهير بن ناصر الناصر، د. مصطفى ديب البغا.
٢٤-الظواهر الفلكية والجغرافية في القرآن الكريم، تأليف: د. عطية محمد عطية، طبعة: دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ، ٢٠١٢م.
٢٥-عالم النبات في القرآن الكريم، تأليف: د. عبد المنعم فهيم الهادي، د. دينا محسن بركة، طبعة: دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

٢٦-عظمة القرآن في المجال الفلكي رؤية جديدة، تأليف: محمد ناصف، نشر: دار إم آر للنشر للعلوم والفنون، الولايات المتحدة الأمريكية، الطبعة الأولى،١٤٣٨هـ، ٢٠١٨م.
٢٧-العلم يدعو للإيمان، تأليف: كريسى موريسون، ترجمة: محمود صالح الفلكي، طبعة: دار وحي القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م - ١٤٣٤هـ.
٢٨-عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للبدر العيني، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.
٢٩-في سنن الله الكونية، تأليف: د. محمد أحمد الغمراوي، مطبعة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى: ١٣٥٥هـ، ١٩٣٦م.
٣٠-القاموس المحيط، للفيروز آبادي، نشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٣١-القرآن وإعجازه العلمي، تأليف: محمد إسماعيل إبراهيم، نشر: دار الفكر العربي - دار الثقافة العربية للطباعة، بدون تاريخ.
٣٢-القرآن والعلوم العصرية، تأليف: الشيخ طنطاوي جوهري، طبعة: دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٣٤٤هـ، ١٩٢٦م.
٣٣-الكتاب الرباني المعجز والعلم الحديث، تأليف: د. عابد توفيق الهاشمي، مراجعة: د. نبيل قصاب باشي، طبعة: دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ٢٠١٧م.
٣٤-الكون طريقي إلى الله، تأليف: عماد مجاهد، طبعة: دروب للنشر، عمان، الأردن، ٢٠١٠م.
٣٥-الكون في القرآن الكريم دراسة مقارنة، تأليف: د. إسماعيل محمد قرني، دار دجلة، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.
٣٦-الكون والإعجاز العلمي للقرآن، د. منصور محمد حسب النبي، نشر: دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩١م.
٣٧-الكون والإنسان بين العلم والقرآن، تأليف: بسام دفضع، مطبعة الشام، دمشق، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.

٣٨-الكون والقرآن كتاب يبحث في علم الفلك، تأليف: محمد علي حسن الحلي، طبعة: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.
٣٩-كيف تكتشف أسرار الطبيعة؟ تأليف: فنسون براون، ترجمة د. إميل شنودة دميان، نشر: وكالة الصحافة العربية، الجيزة، مصر، ٢٠٢١م.
٤٠-الله والعلم الحديث، تأليف: عبد الرزاق نوفل، طبعة: دار الشروق، القاهرة، بدون تاريخ.
٤١-الله يتجلى في عصر العلم، تأليف: نخبة من العلماء الأمريكيين بمناسبة السنة الدولية لطبيعيات الأرض، أشرف على تحريره: جون كلوفر مونسيما، ترجمة: الدكتور الدمرداش عبد المجيد سرحان، راجعه وعلق عليه: الدكتور محمد جمال الدين الفندي، نشر: دار القلم، بيروت – لبنان، بدون تاريخ.
٤٢-المدخل إلى الجغرافيا الطبيعية، تأليف: د. الفرحان يحيى، د. حسن أبو سمور، محمد خلف، طبعة: جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.
٤٣-مع الله في السماء، تأليف: د. أحمد زكي، طبعة: دار القلم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م.
٤٤-معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، نشر: دار الفكر، عام: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
٤٥-مفاتيح الغيب "التفسير الكبير"، للفخر الرازي، نشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠هـ.
٤٦-مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، د. عبد الكريم بكَّار، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، بدون تاريخ.
٤٧-المملكة الحيوانية، تأليف: د. أمين رشدي حمدي، نشر: وكالة الصحافة العربية، الجيزة، مصر، ٢٠١٩م.
٤٨-من آيات الإعجاز العلمي "السماء في القرآن الكريم"، تأليف: د. زغلول راغب محمد النجار، طبعة: دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

٤٩-من آيات الإعجاز العلمي "الأرض في القرآن الكريم"، تأليف: د. زغلول راغب محمد النجار، طبعة: دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
٥٠-من عجائب الخلق في عالم الأسماك، تأليف: محمد إسماعيل الجاويش، طبعة: الدار الذهبية للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، عام ٢٠١٢م.
٥١-من عجائب الخلق في عالم الحشرات، تأليف: محمد إسماعيل الجاويش، طبعة: الدار الذهبية، القاهرة، ٢٠٠٦م.
٥٢-من عجائب الخلق في عالم النبات، تأليف: محمد إسماعيل الجاويش، طبعة: الدار الذهبية القاهرة، عام ٢٠١٢م.
٥٣-مناهج البحوث الإعلامية، تأليف: د. إسماعيل إبراهيم، نشر: دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٧م.
٥٤-موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، تأليف: يوسف الحاج أحمد، طبعة: مكتبة ابن حجر، دمشق، الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م
٥٥-الموسوعة العلمية في الإعجاز القرآني، تأليف: د. سمير عبد الحليم، نشر: مكتبة الأحباب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
٥٦-الموسوعة الفلكية، تأليف: د. خليل البدوي، طبعة: دار عالم الثقافة، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.
٥٧-الموسوعة الكونية الحديثة قصة نشأة الكون، تأليف الفلكي: عماد مجاهد، دار الخليج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٢٠م.
٥٨-الموسوعة الكونية الكبرى، د. ماهر أحمد الصوفي، طبعة: المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ٢٠٠٨م، ١٤٢٩هـ.
٥٩-النبات في القرآن الكريم، تأليف: د. زغلول راغب محمد النجار، نشر: مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٣٧هـ، ٢٠١٦م.
٦٠-نظرية تعدد الأكوان ومركزية الحياة والإعجاز العلمي في القرآن والسنة في الحديث عن حياة ما بعد الموت، د. رضوان جبر السبكي، نشر: دار الكتب، القاهرة، ٢٠١٩م.

ثَبْت المصادر والمراجع باللغة الإنجليزيّة اللاتينيّة:

thabt almasadir walmarajie biallughat al'injlyzyt allatynyt:

alquran alkarim.

1- al'ard "silsilat wamadat 'iiejaziat min alquran walsunat alnabawiati", du. khalid fayiq aleubaydii, tabeatun: dar alkutub aleilmiati, bayrut, lubnan, 2010m.

2- 'asas albalaghati, lilzamakhshari, tahqiqu: muhamad basil euyun alsuwdu, nashara: dar alkutub aleilmiati, bayrut – lubnan, altabeata: al'uwlaa, 1419h - 1998m.

3- al'iislam fi easr aleilmi, du. muhamad 'ahmad alghamrawi, matbaeat alsaeadati, alqahiratu, altabeat al'uwlaa, 1973m/ 1393hi.

4- 'ayn al'iinsani, talifu: alshaykhi/ tantawi juhari, tabeata: maktabat almaearif bialfajaalati, alqahirati, bidun tarikhi.

5- brahin ealaa 'ana al'iislam hu alhaqiqat alati yabhathun eanha "al'iislam wahaqayiq aleilmi", talifu: mahmud eabd alrahim qasimi, tabeata: dar albashir, eaman, al'urduni, altabeat alraabieati: 1415hi, 1995m.

6- altafsir alwasit, du. wahbat bn mustafaa alzuhayli, nashara: dar alfikri, dimashqa, altabeat al'uwlaa, 1422hi.

7- tahadhib allughati, lil'azhari, tahqiqu: muhamad eawad mureibi, nashra: dar 'iihya' alturath alearabii – bayrut, altabeatu: al'uwlaa, 2001m.

8- jamal alealami, lilshaykhi/ tantawi juhari, matbaeat aljumhur, alqahirati, altabeat al'uwlaa bidun tarikhi.

9- jawahir aleulum, lilshaykhi/ tantawi juhari, matbaeat altarqi, aleatabati, alqahirati, bidun tarikhi.

10- aljawahir fi tafsir alquran alkarim almushtamil ealaa eajayib badayie almaknunat wagharayib alayat albahirati, talifi: alshaykh / tantawi jawhari, matbaeatun: mustafaa albabi alhalbi, muharam sanat 1347h.

11- alhayawan fi alquran alkarim, talifu: du. zaghlul raghib muhamad alnajar, nashara: maktabat aleibikan, alrayad, almamlakat alearabiat alsueudiati, altabeat al'uwlaa, 1437h, 2016m.

12- alhayawani, liljahizi, nashara: dar alkutub aleilmiat – bayruta, altabeata: althaaniati, 1424hi.

13- aldaewat al'iislamiat 'usulaha - wasayiluha - 'asalibuha fi alquran alkarim, talifu: du. 'ahmad 'ahmad ghlush, tabeatu: alsharikat aldawliat liltibaeati, alqahirati, 2005m.

14- aldaewat al'iislamiat 'usuluha wawasayiliha, talifi: du/ 'ahmad ghlush tabeata: dar alkitaab almisrii, alqahirati, dar alkitaab allubnani, bayrut, dar alkutub al'iislamiati, altabeat althaaniatu, 1407h/1987m.

15- aldaewat al'iislamiat daewat ealamiatun, talif alshaykhi/ muhamad alraawi, maktabat aleibikan, alrayad, alsueudiati, altabeatu: al'uwlaa, 1415hi, 1995m.

16- fiqah aldaewatu, talif: du. basaam alemwush, tabeatun: dar alnafayisi, al'urduni, altabeatu: al'uwlaa: 1425h, 2005m.

17- dimagh alnabatati, talifi: du. saed allah najm alnueaymi, tabeata: dar alkutub aleilmiati, bayrut, lubnan, 2021m.

18- aldiyn alealamiu wamanhaj aldaewat 'iilayhi, talif alshaykhi: eatiat saqra, nashra: majamae albuhuth al'iislamiati, alqahirat - jumhuriat misr alearabiati, eami: 1408hi, 1988m.

19- rahiq alealam al'iiman, du. 'ahmad fuaad basha, tabeatun: dar alfikr alearabii, alqahirati, altabeat al'uwlaa, 1422hi/ 2002mi.

20- zahrat altafasiri, li'abi zahrata, nushr dar alfikr alearabii, bidun tarikhi.

21- alsihah taj allughat wasihah alearabiati, liljawhari, tahqiqu: 'ahmad eabd alghafur ettar, tabeatun: dar aleilm lilmalayini, bayrut, altabeata: alraabieat / yanayir1990m.

22- sahih al'iimam albukharii nashara: dar tawq alnajati, bayrut, lubnan, tarqim muhamad fuad eabd albaqi, altabeata: al'uwlaa, 1422hi, sharh wataeliqa: muhamad zuhayr bin nasir alnaasir, da. mustafaa dib albugha.

23- alzawahir alfalakiat waljughrafiat fi alquran alkarim, talifu: da. eatiat muhamad eatiat, tabeata: dar yafa aleilmiat lilnashr waltawziei, eaman, al'urduni, altabeat al'uwlaa, 1432hi, 2012m.

24- ealam alnabat fi alquran alkarim, talifu: da. eabd almuneim fahim alhadi, du. dina muhsin barakata, tabeata: dar alfikr alearabii, alqahirati, altabeat al'uwlaa, 1998mi.

25- eazamat alquran fi almajal alfalakii ruyat jadidatun, talifu: muhamad nasif, nashra: dar 'iim ar lilnashr lileulum walfununi, altabeat al'uwlaa, 2018m.

26- alealm yadeu lil'iiman, talifa: krisaa murisun, tarjamata: mahmud salih alfalaki, tabeata: dar wahy alqalami, dimashqa, altabeat al'uwlaa, 2013m - 1434hi.

27- eumdat alqariyi sharh sahih albukhari, lilbadr aleaynii, nashara: dar 'iihya' alturath alearabii, bayrut, bidun tarikhi.

28- fi sunan allah alkawniatu, talifu: du. muhamad 'ahmad alghamrawi, matbaeatun: lajnat altaalif waltarjamat walnashri, alqahirati, altabeat al'uwlaa: 1355h, 1936m.

29- alqamus almuhita, lilfayruz abadi, nashra: muasasat alrisalat liltibaeat walnashr waltawzie, bayrut - lubnan, altabeata: althaaminati, 1426h - 2005m.

30- alquran wa'iiejazuh aleilmia, talifu: muhamad 'iismaeil 'iibrahima, nashara: dar alfikr alearabii - dar althaqafat alearabiat liltibaeati, bidun tarikhi.

31- alquran waleulum aleasriatu, talifu: alshaykh tantawi juhari, tabeatun: dar 'iihya' alkutub alearabiati, alqahirati, altabeat althaalithati, 1344h, 1926m.

32- alkitaab alrabaaniu almuejiz waleilam alhudithi, talifi: du. eabid tawfiq alhashimi, murajaeata: du. nail qusab bashi, tabeat: dar alkutub aleilmiati, bayrut lubnan, 2017m.

33- alkun tariqi 'iilaa allahi, talif :eimad majahid, tabeata: durub lilnashri, eaman, al'urduni, 2010m.

34- alkun fi alquran alkarim dirasat muqaranati, talifi: du. 'iismaeil muhamad qarni, dar dijlat, eaman, al'urduni, altabeat al'uwlaa, 1430h, 2009m..

35- alkun wal'iiejaz aleilmiu lilqurani, du/ mansur muhamad hasab alnabi, nashara: dar alfikr alearabii, alqahirati, altabeat althaaniatu, 1991m.

36- alkun wal'iinsan bayn aleilm walqurani, talifu: basaam dafdaea, matbaeat alshaami, dimashqa, 1411h, 1990mi.

37- alkun walquran kitab yabhath fi eilm alfalaki, talifu: muhamad eali hasan alhali, tabeata: dar alkutub aleilmiati, bayrut, lubnan, altabeat al'uwlaa, 2010m;

38- kif taktashif 'asrar altabieati? talifu: finsun brawin, tarjamat du. 'iimil shinudat dimyan, nashara: wikalat alsihafat alearabiati, aljizatu, masr, 2021m.

39- allah waleilm alhadithi, talifu: eabd alrazaaq nufila, tabeatun: dar alshuruqi, alqahirati, bidun tarikhi.

40- allah yatajalaa fi easr aleilmi, talifu: nukhbat min aleulama' al'amrikiiyn bimunasabat alsunat alduwaliat litabieiaat al'arda, 'ashraf ealaa tahririhi: jun klufr munisima, tarjamatu: alduktur aldamardash eabd almajid sarhan, rajieh waealaq ealayhi: alduktur muhamad jamal aldiyn alfandi, nashra: dar alqalama, bayrut – lubnan, bidun Tarikh.

41- almadkhal 'iilaa aljughrafia altabieiati, talifi: du. alfarhan yahyaa, du. hasan 'abu smur, muhamad khalaf, tabeat: jameiat eumaal almatabie altaeawuniati, eaman, al'urdunn, altabeat al'uwlaa, 1988m.

42- mae allah fi alsama'i, talifu: du. 'ahmad zaki, tabeata: dar alqalam, bayrut, lubnan, altabeat, aluwlaa, 1983m.

43- maejam maqayis allughati, liabn farsi, nashra: dar alfikri, eami: 1399h - 1979m.

44- mafatih alghayb "altafsir alkabiri", lilfakhr alraazi, nashara: dar 'iihya' alturath alearabii – bayrut, altabeata: althaalithat – 1420hi.

45- muqadimat lilnuhud bialeamal aldaewii, du. eabd alkarim bakkar, dar alqalami, dimashqa, altabeat al'uwlaa, bidun tarikhi.

46- almamlakat alhayawaniati, talifi: du. 'amin rushdi hamdi, nashara: wikalat alsihafat alearabiati, aljizatu, masr,2019m.

47- min ayat al'iiejaz aleilmii "alsama' fi alquran alkarimi", talifu: du. zaghlul raghib muhamad alnajar, tabeatun: dar almaerifati, bayrut, lubnan, altabeat al'uwlaa: 1426h / 2005m.

48- min ayat al'iiejaz aleilmii "al'ard fi alquran alkarim", talifi: du. zaghlul raghib muhamad alnajar, tabeatun: dar almaerifati, bayrut, lubnan, altabeat al'uwlaa: 1426hi/ 2005m.

49- min eajayib alkhalq fi ealam al'asmak, talifu: muhamad 'iismaeil aljawishu, tabeatu: aldaar aldhahabiat liltabe walnashr waltawzie, alqahirati, eam 2012m.

50- min eajayib alkhalq fi ealam alhasharati, talifu: muhamad 'iismaeil aljawishu, tabeatu: aldaar aldhahabiati, alqahirati, 2006m.

51- min eajayib alkhalq fi ealam alnabati, talifu: muhamad 'iismaeil aljawishu, tabeatu: aldaar aldhahabiat alqahirati, eam 2012m.

52- manahij albuhuth al'iielamiati, talifi: du. 'iismaeil 'iibrahim, nushra: dar alfajr lilnashr waltawzie, alqahirati, altabeat al'uwlaa, 2017m.

53- musueat al'iiejaz aleilmii fi alquran alkarim walsunat almutahirati, talifu: yusuf alhaji 'ahmadu, tabeatu: maktabat abn hajara, dimashqa, altabeat althaaniat 1424hi, 2003m

54- almawsueat aleilmiat fi al'iiejaz alqurani, talifu: du. samir eabd alhalim, nashara: maktabat al'ahbabi, bayruta, altabeat al'uwlaa, 1421h/ 2000m.

55- almusueat alfalakiatu, talifi: du. khalil albadwi, tabeatu: dar ealam althaqafati, eaman, al'urduni, altabeat al'uwlaa, 1999m.

56- almawsueat alkawniat alhadithat qisat nash'at alkun, talif alfalaki: eimad mujahid, dar alkhalij lilnashr waltawziei, eaman, al'urduni, altabeat al'uwlaa, 2020m.

57- almawsueat alkawniat alkubraa, da. mahir 'ahmad alsuwfi, tabeatu: almaktabat aleasriati, sayda, bayrut, 2008m, 1429h.

58- alnabat fi alquran alkarim, talifu: du. zaghlul raghib muhamad alnajar, nashara: maktabat aleibikan, alrayad, almamlakat alearabiat alsaeudiati, altabeat al'uwlaa, 1437h, 2016m.

59- nazariat taeadud al'akwan wamarkaziat alhayat wal'iiejaz aleilmii fi alquran walsunat fi alhadith ean hayat ma baed almawti, da. ridwan jabr alsabki, nashra: dar alkutub, alqahirati, 2019m.